

# القضية المصرية

من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٢٣



## العاصفة \*

إن قلبي يرتعد خوفاً وقلقاً ، أسمع قفقهة في جوف السماء فهل هي نذير العاصفة التي يريد الله أن يرسلها علينا ؟ أرى الوجوه شاحبة - والعيون حائرة ، والجباه عابسة ، فهل شعر الناس بويل مقبل انقبضت له صدورهم . واقشعرت له جلودهم ؟

ما هذا المنظر المرعب الخيف ؟ ما هذه الضوضاء المرتفعة بالجاذبات والمناقشات في المجتمعات العامة والخاصة ؟ ومن هم هؤلاء الذين ينصارعون ويتجادلون ويبغى بعضهم على بعض ؟ إن كانوا مصريين فويل لمصر وأهلها ومستقبل الحياة فيها بعد اليوم ، هذا هو شأن الأمم البائدة في أدوار سقوطها واضمحلالها ، وفي ساعة وقوفها على حافة الهوة العميقة لقد ظننت في ساعة من ساعات حياتي أنني قد أمنت على مصر أبدي الدهر ، وكان قلبي يستطير فرحاً وسروراً كما سمعت تلك ( الجوقة ) الموسيقية الجميلة تنغى في أرجائها بنغمة واحدة وتوقع واحد . وكنت أضفي إليها بسرور واشتياق إصفاء العاشق المفارق إلى تفريد الحفاته المتزينة في أفئدة نساء ثم ما لبثت أن شعرت أن النغمة قد استبدلت ، والنغم قد اندثرت . قد اندثرت . قد عرفت ما رنمت ، ودفعت رأسي قذاً في « يزرعنا » ، إذا الناس جميعاً في كيسة « أوصوفيا » يتناقشون وينحدرون جداً الانحدار في مسنة الطبيعة

✽ كتب على اثر اشتقاق المشقين من يوم امري . يزرعنا . يزرعنا . يزرعنا . رئيس الوفد تفيداً للإرادة الانكليزية التي - يرميها - الزم من ص . وعنده في التمسك بحقوق الوطن

والطبيعتين ، وأبواب المدينة تفتح تحت ضربات متناول العدو فلا يسمعون لها صوتاً

كنّا جميعاً - وكان الشمل منتظماً - وكان كل واحدنا بمنزلة عين رؤسنا وشقاؤنا .  
منظر تلك البوححة الجميلة التي كنّا ننظر على روضتها الزاهرة الغناء من  
نوافذ سجننا فبهون علينا جموعنا وآلامنا ، ولم يكن منظرنا في العالم أجمل  
ولا أبعد من منظر تلك الدموع الرقاقة التي كانت تتلألأ في عيوننا جميعاً ،  
لأنها كانت في الحقيقة دموع السرور والاعتباط بإحساننا واتفاقنا ، ووحدة  
كلماتنا ، وقوة جوامعنا

لا تزال العاصفة تدوى وتصف ، ولا يزال البناء يضطرب ويهتز ،  
فليت شعري هل يتأسك ويعود الى سكونه واستقراره ؟ أم قدر له السقوط  
كما قدر لأمثاله من الأبنية في عهود التاريخ الفائرة ؟

ها هو سعد باشا يمسك البناء بيده أن يتداعى ويهدم ، ولكنه قد  
تعب جداً ، ونال منه الجهد والنصب ، لأن الحمل ثقيل ولأن الهادمين من  
خصومه المصريين معتزون بالقوة الأجنبية وهي فوق طاقته وإحتماله ، فهل  
تستطيع الأمة أن تمد يدها إليه وتعينه على عمله الشاق ؟

هناك قوتان هائلتان جداً ، قوة العدو الخارج مستترة ، وقوة العدو  
الداخل ظاهرة ، وهما تعملان معاً بنظام واحد . وفكر واحد ، هو أن  
تُسَدَّنَا أحراراً ولاهما ، فلنحذف اليها بقوة أعظم من قوتها شأناً ،  
وأجل خطراً . وهي قوة العقيدة الراسخة ، والایمان الثابت ، والثقة بالنفس ،  
والأمل الواسع ، والثبات على المبدأ ، نظراً بهما معاً ، ونقض عليهما  
جميعاً ، فلا يبقى لهما عين ولا أثر

إن الساسة الأنجليز يريدون أن يمزقوا شمل وحدتنا الوطنية التي بذلنا في سبيلها الشيء الكثير من ذات أنفسنا وذات أيدينا ليستثمروا شقاءنا وآلامنا فهل نسمح لهم بذلك ؟

لا ، فقد أصبحت الأمة غير الأمة ، والمقول غير المقول ، والأفهام غير الأفهام ، وليست هذه النهضة التي نهضناها اليوم ترديداً لأصوات القاتلين ، أو تقليداً لحركات الناهضين ، أو فصلاً تمثيلاً ، أو لعبة بهلوانية ، وإنما هي عقيدة راسخة في النفس رسوخ الإيمان في نفوس المؤمنين ، فليطلبوا لهم صفقة غير هذه الصفقة ، في سوق غير هذه السوق . فها نحن بسلع تباع وتُشترى ، ولا بمأذبة عامة يهوى إليها الفادون والرائعون

إننا لم نجاهد يوم جاهدنا من أجلهم ، بل من أجل وطننا ، ولم نفهم في معاركنا التي أدرناها هذه الوحدة الشريفة لنضعها يوم نظفر بها في أيديهم ، يمزقون شملها ، ويشوهون صورتها ، ويلعبون بها لعب العواالج بالأكر

محال أن نسمح لهم بها طامعين مختارين ، فهي حياتنا وروحنا ، وأمن ماتمك أيدينا ، وخير ما استفدنا من جهادنا . بل كل ما استفدناه منه . وستنود عنها ذود الأمم الرؤوم عن واحدنا ، والعنراء العفيفة عن عرضها . وسينذل في سبيل استبقائها في أيدينا فوق ما بذلنا في سبيل الحصول عليها

ليس من السهل علينا ولا مما تحتمله أطواقنا أن يتحدث الناس عنا . وقد بدأوا يتحدثون . - أن تلك النهضة التي نهضناها إنما كانت رواية تمثيلية خلبنها عقول المتفرجين ساعة من الزمان ، حتى إذا نزل استار عليها : إذا الوجوه الوجوه ، والصور الصور . وإذا الداء القديم . والمرض المعضل

إن الشرق لم يشق بلجمل ولا بالضعف كما يقولون ، قديما عاش الضعفاء والجبناء أحراراً مستقلين بفضل اتحادهم وقوة جامعتهم ، بل لأنه يوجد في كل شعب من شعوبه أمثال هؤلاء الأرقام الذين ابتلينا بهم في مصر خبثاء الأغراض والمقاصد - موتى العواطف والمشاعر ، لا يتألمون إلا لأنفسهم ، ولا يكون إلا على نقص في أموالهم وثمراتهم والشعب المصري أول شعب شرقي نهض نهضة سياسية في هذا العصر ، ثم مشت الشعوب الشرقية بعد ذلك على أثره ، فيجب أن يكون أول شعب يعرف كيف يحقق الديمقراطية التامة بين أحشائه ، لتعلم منه الشعوب الأخرى كيف تحقق الدساتير الكامنة بين أحشائها فيعود بالفخرين ، ويلبس التاجين

إنا لا نريد أن نحارب المنشقين والخارجين ، فالقوة التي لا قبل لنا بها من ورائهم تحميهم ، ولا أن نجادلهم ، فإن لهم تحت جلدة وجوههم ذخيرة من السهاجة والصفافة كافية لانكار أن الأرض أرض ، والسماء سماء ، وأن هناك فرقاً بين لون الليل ولون النهار ، بل نريد أن نقي أنفسنا شر دسائسهم ومكائدهم ، ولا سبيل لنا إلى ذلك إلا إذا أعرضنا عنهم ، وصنا أنظارنا عن رؤية وجوههم ، وأصابعنا عن سماع أصواتهم ، كما يتعوذ المتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فإن فعلنا فقد انتصرنا انتصاراً عظيماً لم نوفق إلى مثله في جميع أدوار تاريخنا من عهد « سيزسترس » حتى اليوم ، وإلا فما خلق الله في العالم خلقاً أهون على الله وعلى الناس منا

## إلى خصوم سعد باشا\*

١

سعد باشا خصم السياسة الإنجليزية في مصر ، وعدوها الألد ، ما في ذلك شك ولا ريب ، فجميع خصومه السياسيين من المصريين أصدقاء لتلك السياسة ، وأعوان لها على أمتهم هذا هو الذي أستطيع أن أفهمه ويفهمه الناس جميعاً . ولا فرق عندي بين أن توضع في عنق جامعة أكاد بها إلى دار المارستان لأقضى فيها بقية أيام حياتي ، وبين أن أفهم غير ذلك

فأشتموا يا خصوم سعد سعداً ما شتمتم ، وافتنوا في النيل من كرامته ما أردتم ، فلامعني لذلك عندنا إلا أنكم آله صامق في يد السياسة الانكليزية ، تنولون بالثيابة عنها زحرحة العقبة الكبرى التي تعترض طريقها ، وتعرقل مساعيها ، وتقف سداً حائلاً دون تنفيذ تلك الفكرة الجهنمية الهائلة ، فكرة تسجيل الحماية الانكليزية على مصر ، واحلفوا بالله جهد أيمانكم أنكم وطنيون مخلصون ، ما خلق الله بين أرضه وسماائه خلقاً أظھر قلباً . ولا أنقى سريرة ، ولا أبل مقصداً منكم ، وأنكم لا تريدون بما تفعلون الإخير الوطن وأهله ، وهناء الامة وسعادتها ، فليس بمن ذلك عنكم عندنا شيئاً . لأن

\* كتبت هذه الساسة في غضون الحركة الهائلة التي دارت بين الزعيم سعد باشا تعضده الامة للمصرية وبين عدلى باشا رئيس الحكومة ورئيس المنشقين تعضده القوة الانكليزية وقد ذاق فيها الشرب أشد أنواع المذاب وأفظه صنوف الاسبذاب والاضطهاد

الوطى لا يجارب الوطنى ، ولا يتغنى له الغوائل ، ولا ينصب الجبال لهدمه  
ونسفه

دعوى الوطنية كلمة بسيطة تصدر من الفم بسهولة ، كما يتنفس  
المتنفس ، ويتهدد المتنهد ، وقد نطق بها جميع الناس فى مصر حتى «سكينة»  
مجرمة الاسكندرية ، قد زعمت أنها إنما كانت تخدم الوطن بقتل النساء  
العاهرات ليعتبر بمصر عن الحرائر الشرقات فلا يسقطن فى مثل ماسقطن  
فيه ، ففى دعوى محتاجة دائماً الى برهان ، وبرهانها الوحيد الذى نستطيع  
أن نتعقله بلا تكاف ولا تَمَلْ ، ولا فلسفة ولا حذقة ، هو مجافاة السياسة  
الانجليزية ، والانحراف عنها ، والتجهُّم لها ، وسلوك كل طريق غير طريقها ،  
وما دهم متفقين .مما فى اعتبار سعد باشا خصماً سياسياً خطراً يجب هدمه  
وإسقاطه ، فأنتم أعوانها وأنصارها ، ومحال أن تكونوا أعواننا وأنصارنا  
السياسة الانجليزية تخنق الحرية السياسية فى مصر ، وتضرب على أيدى  
الكاتبين ، وألسنة الناطقين ، وعقول المفكرين ، وتأبى إلا أن تسوق الناس  
جميعاً فى طريق السياسة التى ترضاها لنفسها ، وسعد باشا يحتاج كل يوم على  
ذلك ، ويصرخ الصرخات الهائلات التى ترتجف لها جوانب الأرض ، وتهتز  
لها أركان السماء ، وأنتم سكوت صامتون ، لا تحتجون ولا تفضبون ، فهو  
الوطى المخلص من دونكم

بيننا وبينكم أمر واحد ، إن أنتم فعلتموه نلتم ما شئتم من حبنا ورضانا ،  
وإكرامنا وجلالتنا ، ونزلتم من نفوسنا المنزلة التى ينزلها الوطنيون المخلصون ،  
وهو أن تعقدوا اجتماعاً علماً يكتبون فيه احتجاجاً شديد اللهجة الى الحكومة  
الانجليزية على بقاء الأحكام العرفية فى مصر حتى اليوم ، وعلى القوانين

الاستثنائية ، وقانون المطبوعات ، وقييد حرية الخطابة والكتابة ، ومنع المظاهرات السلمية ، والاجتماعات السياسية ، واعتبار الوطنية جريمة تعاقب عليها المحاكم العسكرية والنظامية ، ثم تختمون احتجاجكم بهذه الكلمة « إننا لا قبل لمفاوضة سياسية تجري بين فريقين ، أحدهما سجين في سجن مظلم ضيق ، لا يستطيع التنفس فيه ولا الحركة ، والآخر سجان قاس مستبد يجرد على رأسه سيف القوة والتهر ويملى عليه ما يريد ويشتهي »

هذا هو البرهان الوحيد الذي تستطيعون أن تقنعوا من طريقه بوطنيتكم وإخلاصكم لأنتمكم ووطنكم ، وأنكم قوم أحرار أبداً ، تشبعون بروح العدل والشرف

فإن لم تفعلوا فاندنوا لنا — ولنا المنر الواسع في ذلك — أن نعتبركم أعداءنا وأعداء حريتنا واستقلالنا ، وأن نتمسك بالإخلاص للرجل الذي ينود عنا ، ويجاهد في سبيلنا ، ويحارب ظالمينا

أندرون متى نتخلى عن سعد باشا ونخذه وترتاب في صدقه وإخلاصه ؛ يوم ترضى عنه السياسة الانكليزية ، وتدود عنه الصحف الانكليزية ، وتلقى عليه الدوائر الانكليزية . وتدافع عنه القوة الانكليزية ، وتستحيل نفسه الى نفس انكليزية يحس بالحاساسها ويشعر بشعورها ، ويتحرك بحركتها ، ويسكن بسكونها ، ويوم تضمه الحكومة الانكليزية الى صدرها . وتحنو عليه حنو الوالدة المشقة على طفلها الصغير . معتقدة أن حياتها في حياته ، وموتها في موته ، ومادام سعد باشا باقيا في صفوفنا لم يارقنا ولم يتخل عنا ، فمن الخطئ والسفاهة وسقوط النفس أن نفارقه ونتخلى عنه ، فإن عجز من أن ينفعنا بشيء في قضيتنا فلا أقل من أن يشغى غليلنا



بتنقيص ظالمينا ، ولا شيء ألد للنفوس ولا أشهى اليها من تنقيص الظالمين  
 ، إذا تنقمون من سعد باشا أيها القوم ؟ وأي جناية جناها عليكم في  
 أنفسكم أو في أمتكم فتحملوا له بين جور الحكم هذه الموجدة وهذه البغضاء ؟  
 ليس سعد باشا هو الذي اغتصب بلادكم ، واستأمر أوطانكم ، وأذل  
 أعناقكم ، وأرغم أنوفكم ، ونخنق الحرية السياسية في مجامعكم العامة ،  
 وبجالسكم الخاصة ، فإستطيع أن ينطق ناطق ، ولأن يكتب كاتب ، إلا  
 إيماء وتعريضاً

ليس سعد باشا هو الذي لعب بمقول فريق من أعضاء الوفد وأغرام  
 بالانفصال عن الجامعة الوطنية والخروج عليها ليتوصل بذلك إلى تمزيق  
 شمل الأمة وتفريق وحدتها ، وليس هو الذي استشر بدسائسه ومكائده  
 طمع الطامعين ، وجبن الجبناء ، وغباوة الأغبياء ، ليستعين بهم على خراب  
 الوطن ودماره

ليس سعد باشا خصمكم ، بل خصومكم أولئك الذين يثرونكم به ،  
 ويسلطونكم عليه ، لأنهم يعلمون أن الأمة لا تغلج بغير زعيم ، وأن  
 لا زعيم فيها يغني غناؤه ، ويسد مكانه ، فإن ظفروا به فقد ظفروا بالأمة  
 جميعها ، وحلوا العقدة التي عجزوا عن حلها أربعين عاماً ، فحولوا سهامكم  
 إلى خصومكم ، ووجهوا ضرباتكم إلى المرقب الذي تساقط منه السهام عليكم  
 ارحموا أمتكم ولا تثيروا حفيظتها بأهانة زعيمها ونصيرها الباقي لها  
 بعد تحلى جميع أنصارها وأعوانها عنها . ولا تنهزوا فرصة ضعفها وعجزها  
 فتدفعوها إلى إحدى السوءتين ، إما الغضب الذي ليس من مصلحتها ،

وإما اللذل الذي هو فوق طاقتها ، واذكروا كيف يكون شأنكم غداً أمام  
أنفسكم وأمام ضمايركم إن تمت لأعدائكم الغاية التي يروونها من مصر على  
يدكم ، لا قدر الله ولا سمح ، بل كيف يكون بكاؤكم وعويلكم على وطنكم  
وبلادكم ، حينما تسبقظون من رقدتكم ، وتستيقظون من سكرتكم . فتعلمون  
أن العدو قد اقتحم البلد ، وأنكم أنتم الذين فتحتم له أبوابه بأيديكم

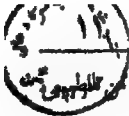
## إلى خصوم سعد باشا

### ٢

والله ما ندرى ما هي دلائكم علينا . وصيغتنا عند . . . وبعثنا إلى  
قلوبكم بها أعناقنا ، فمطلبوا إلينا كل يوم في خبزكم وخبز . . . ثم  
وكل ما تهتف به ألسنتكم وأفلامكم أن تنفض من حول سعد باشا . وبنف  
من حولكم ، ونخذه ونصركم ، ونفارق طاعته إلى طاعة

لسعد باشا على الأمة ثلاث أياد لا تستطيع أن تفترقه مدى الدهر .  
أنه أسس الوحدة المصرية التي عجزت عنها الفرون الثلاثة عشر الماضية .  
وأنه قل الفكرة الوطنية من دور الأمان والأحلام إلى دور الجهد والعمل .  
وأنه نشر الدعوة الوطنية في أنحاء العالم كله حتى وجدت فيه مساهمة تسمى  
« المسألة المصرية » إن لم تتحقق فيها الآمال اليوم فقد . . . فإذا قدمتم أنتم  
إلينا من الخلم ، وقلدتم به أعناقنا من المن ؛

هيو ناكما ترعونا قوماً سذجاً بسطاء ، طائش العقول والأحلام .



لا نستطيع أن نفيش بغير معبود نعبده ، ونخضع له ، أليس من اللاهوتيين  
والمقول أن تفضل عبادة الشمس التي ترى نورها ونشر بحرارتها ، وتمتع  
بضياها على عبادة الحشرات التي لا تكاد نشر بوجودها - ولا ترى لها  
فائدة في شئون حياتنا ؟

من أنتم أيها القوم ؟ وأي شأن لكم عندها ؟ وما هي الصلة النفسية  
التي تجمع بيننا وبينكم ؟ وأين مواقفكم التي وقفتوها في خدمة قضيتنا ؟  
وصالحكم التي شغلتموها من تاريخ حياتنا ؟ وما الذي يترامنكم ، ويهزنا من  
شؤونكم ، لتعبدكم وتسلم إليكم ، ونضع في أيديكم قيادنا ، وقياد حاضرنا  
ومستقبلنا ؟

إننا نعرفكم جميعا بأشخاصكم وأعيانكم ، ونعرف جميع ميولكم وأهوائكم ،  
والجهة التي تتجهون إليها دائما في شؤون حياتكم ، والسياسة التي تظاهرونها  
وتماثلونها - مد برزتم إلى الوجود حتى اليوم ، ونعرف أنكم ذلك الفريق  
الذي يثر به المستعمر دائما في كل أمة يريد القضاء عليها فيستعين به على  
أغراضه وبأربه لا أكثر من ذلك ولا أقل ، فكيف تطعمون في أن  
تتخذكم زعماء لنا في سياستنا ، بل كيف تطعمون في أن نعدكم مصريين  
تشركون معنا في شعورنا واحساسنا

سعد باشا يفتي الوحدة الوطنية ، وأنتم تهذبونها ، سعد باشا يحارب  
خصومنا ويناولهم ، وأنتم توالونهم وتظاهرونهم ، سعد باشا يبكي دما يوم  
يستشهد شهيد منا في سبيل وطنه ، وأنتم تسمتون به وتفرحون ، وتقولون هذا  
جزء المخاطرة والمجازفة ، سعد باشا يثير الثائرة كل يوم على الاحكام  
العرفية ، والقوانين الاستثنائية ، وأنتم ترضون عنها ، بل تؤيدونها ، بل تشركون

فى وضع موادها ، سعد باشا يريد أن تتطهر الارادة المصرية من رذائل الكذب والنفاق ، والظلم والارهاق ، وأنتم تفرونها بل وتكسب هذه الرذائل جميعها ، وتماثلونها عليها ، وتفضيئون وتسخبون كلما شعرتم أن يبدأ من الايدى تحاول زحزحة الستار عنها ، سعد باشا يصيح فى جميع مواقفه ومشاهداته قائلًا يجب أن يكون الشعب حراً مطلقاً يختار لنفسه السياسة التى يريد ، وأنتم تصيحون قائلين يجب أن يساق الشعب الى السياسة التى تراءى منه ، ولا تشعب جاهل منقطع لا يفهم مصلحته ، ولا يستطيع تقديرها ، سعد باشا يريد الأمة على الفضيلة وشرف انطلق ويث فيها روح المحبة والعزة والالهة والعصدق والصراحة والشرف والاباء ، وأنتم تفسدون أخلاقها وتمزقون أديم ذابها . وتطلبون من القاضى أن يحكم بغير ما يعتقد ، ومن الشاهد أن يشهد بغير ما يعلم ، ومن الفقيه أن يفتى بما يخالف أحكام دينه وقد اعتد . ومن الله فلفد ، أن يعتمد فى رقيه وتقدمه على المداينة والمداخلة . لا سبى الحماية والعص . ومن التلميذ أن يترك الى نجاحه فى الامتحان باب السبى والخون . لا باب الجهد والاجتهاد ، ومن الفلاح أن يبيع ذمته وضميره برتبة أو لقب أو قضاء مصلحة مالية ، ومن الكاتب أن يحول قلمه الذى وضعته الالهة فى يده ليدافع به عنها ، ويندود عن مصلحتها الى سهرائش مسمومة يعصيب به صميم قلبها . وتطلبون من الأمة كلها أن تتجرد من شخصيتها وهويتها . وتحول الى قطع من الاغنام يسير به كل راع فى الطريق الذى يريد .

سعد باشا يقول فيصدق ، وما عرفنا لها كنبه به فخذ . ما عرفنا دوتهمك به حتى اليوم ، وأنتم تطلعون علينا كل يوم بما كنبوه به بدم لا ينهى العجب منها حتى تابعها أختها . حتى سقطتم من أعيننا مفعلة ما نفعنا منكم .

من قبلكم ، وحتى قال عنكم بعض أصحاب الرأي من الشيوخ المحنكين  
إنكم قد أفسدتم من أخلاق الأمة في بضعة شهور فوق ما أفسد الاحتلال  
الانكليزي منها في أربعين عاماً

فهل من أجل هذا تنفض من حول سعد باشا وتلتف من حولكم ،  
وتخذه وتصرّك ، وتززع عن رأسه تاج الزعامة لتضعه فوق رؤوسكم  
إنكم إذن تريدون أن تقرروا أن أرض مصر قد استحالت إلى دار  
ملوستان كبرى يعيش فيها أربعة عشر مليوناً من المحبولين ، وأن تُشهدوا  
العالم كله على أننا أمة بلهاء ممرورة لا تستحق استقلالاً كاملاً ولا ناقصاً ، بل  
لا تستحق البقاء في هذا الوجود

ليس لنا أيها القوم زعيم نعبده ونخضع له غير المبدأ ، وما علينا سعد  
باشا زعامتنا إلا لأنه ينزل على إرادتنا ، وإرادتنا القاطمة ألا ينزل على  
إرادتكم ، ولا يأخذ ب رأيكم ، ولا يسير في طريق يعلم أنكم تسرون فيها ،  
وما دام هذا شأنه فحال أن نفد به ، ونخفر ذمته ، وعحال أن نخلى بينكم  
وبينه ، ونسبح لكم بشفاء غليلكم منه ، ونحن شهود نسمع ونرى

عجباً لكم ، فيكم العالم والمستنير والفيلسوف والكهل المحبوب والشيخ  
الحنك ، فكيف فاةكم جميعاً أن تفهموا أن الطبيعة سنة لا يمكن تحويلها ولا  
تبديلها ، وأن تحويل أمة مستنيرة ذكية عددها أربعة عشر مليوناً من  
الحياة إلى الموت في بضعة شهور ليس بالأمر السهل المهيّن ، وأن نقل الزعامة  
من يد إلى يد ليس من الأشياء الخاضعة لقانون الحول والقوة ، بل لقانون  
الانتخاب الطبيعي الذي تخضع له الجمعية البشرية منذ أشرقت عليها شمس  
الحياة حتى اليوم ، وأن توجيه النفس الانسانية من شعور إلى ضده لا يأتي

من طريق القوة والقهر ، بل من طريق الحجة والاقتناع ، أو من طريق الاستدراج والاستهواء على الأقل

ما أشد ضرورك بأنفسكم أيها القوم ! وما أشد احتقاركم لأممتكم ! أما ضرورك بأنفسكم فلا تكلم ظننتم أنكم بالقضاء بعض الخطب ، وكتابة بعض الرسائل ، وتغيير بعض المكائد ، وإعناق بعض الأموال ، تستطيعون تحويل الأمة المصرية بأجمعها من حب سعد إلى بغضه ، ومن الثقة به إلى الثقة بغيره ، ومن التمسك والتشدد في المطالب الوطنية ، إلى القناعة والتهاون فيها ، ومن سوء الظن بالسياسة الانكليزية ، إلى حسن الظن بها ، ومن السخط على مشروع ملتر ، إلى الرضا عنه والاعتباط به ، يدور استناد إلى حجفولا برهان ، كأن ما تفضون به إلى الناس آيات منزلة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وما طمع يوما صاحب الآيت المنزلة نفسه جل جلاله أن يؤمن الناس بآياته ويذعنوا لها دون أن يدعمها بالحجة والبرهان . وأما احتقاركم لأممتكم فهو اعتقادكم أنها أمة بسيطة ساذجة تأتي بها كلمة . وتذهب بها كلمة ، وتطير بها فكرة ، وتهبط بها أخرى . وكنا أنتم تقولون في أنفسكم إن الروح الوطنية التي نحتلج في صدرها إنما هي روح صناعية غرسها الحوادث والظروف فلم لا تستزعها الحوادث والظروف كذلك . وإن الوحدة الوطنية التي تربط بين أجزائها إنما هي وحدة كاذبة . وهومة فلم لا يبددها وغرق شملها بوم من الاوهام الكاذبة ، وإن المنزلة التي لها سعد باشا فيها إنما نالها بالسفسطة والثرثرة فلم لا تسلب عليها السفسطة والثرثرة فتذهب بها ، وما دام هذا مقدار عقلها وتصورها فن السهل علينا أن نمدده بأننا نحن الذين سننيلها جميع آمالها ومطالبها لتطمئن إلينا . حتى إذا حزن

وقت الوفاء بوعدها قدمنا لها القيد الحديدي الذي أعدناه لها ، وسيناه  
 خلخالاً ذهبياً ، فنصق ونقتبط وتستطير فرحاً وسروراً  
 ان كل هذا هو ما تضمرّون في أنفسكم عموماً أحسبكم تضمرّون غيره ،  
 فواقه ما احتقر أحد في العالم هذه الامة احتقاركم ، ولا رأى شعب من  
 الشعوب فيها حتى الشعب الذي يستعبدّها ويستلها هذا الرأى الذي ترويه ،  
 واتخذوا لى أن أقول لكم بعد ذلك إنه ما دامت أفكاركم وآراؤكم في  
 المجتمع وشؤونّه ، والامم وطبائمه ، والنفوس ومشاعرها ، لا يمكن أن تتجاوز  
 هذا القدر الذي وصلت اليه ، فليس بينكم رجل واحد يستطيع أن يكون  
 زعيماً لامة ، أو زعيماً لقرية ، أو زعيماً لنفسه

## إلى خصوم سعد باشا

٣

إن كنتم تريدون أن تجردوا سيف القوة والقهر على رؤوسنا لتستلوا  
 من بين أشدنا كلمات الحمد لكم ، والثناء عليكم ، والاعتراف بأنكم أصدق  
 الناس وطنية ، وأشدّهم إخلاصاً ، وأعدلهم حكماً ، وأشدّهم رأياً ، وأبدم  
 نظراً ، وأنكم خير من يتولى قيادة القضية المصرية حتى يبلغ بها الغاية المرجوة  
 لها ، فلكم ما شئتم وفوق ما شئتم ، ولا عار علينا في ذلك ، فبيننا الضعيف والماجز  
 والمضطّر وصاحب الحاجة ، ومن قبلكم عجلت محكمة التنقيش في اسبابها  
 من أهلها مثل ما تعالجون منا اليوم ، فنطق للموحد بكلمة التثليث ، وليس

صاحب الهامة القلنوسة ، وعلق حامل المصحف الصليب ، ومن قبل ذلك  
أرغم كثير من الملوك الظلمة العلماء والفقهاء على اتباع المذاهب والنحل  
التي ينتحلونها ، فلم يجدوا بداً من الاذعان لهم ، والنزول على حكمهم ، غير  
أن لنا عندكم رجاء واحداً لا نضرع إليكم في شيء سواه ، وهو أن تعترفوا  
بالطريقة التي حملتموها بها على الاذعان والتسليم ، وألا تكذبوا علينا فنشروا  
في الناس أنكم أقنعتُمونا فاقنعنا ، وأقم لنا الحجج فسلمنا ، وأنا آمنة بكم  
طامنين مختارين ، تلك التوبة العظمى ، والرزية الكبرى ، التي لا قبل  
لنا بلحتمالها ، وغير لنا أن يتحدث الناس عنا أننا ضعفا وجيئنا بين أيديكم .  
فلم نستطع إلا النزول على حكمكم ، والتسليم لكم بما تريدون ، من أن  
يقولوا عنا أننا انضغنا بكم ، وصدقنا أكلذيكم

لا نطيق أن يتحدث الناس عنا أننا صدقنا أن أصدقاء الحماية بالأس  
أهداؤها اليوم ، وإن الذين أعمدوا في صدورنا تلك الخناجر المسمومة قد  
تحولوا اليوم إلى أطباء راحمين يحاولون أنزاعها منا ، وإن الفارين من صفوف  
الجيش الوطني إلى صفوف جيش العدو ليحاربونا معه ، ويمينوه علينا ، ووطنيون  
مخلصون ، وإن الذين يرمون الأمة بالجهل والغباء والافتقار إلى زعمائها  
افتقار القطيع لراعييه بلا تصور ولا إدراك أصدقاءها ، يطفون عليها ، ويتبنون  
لها الخمر والسعادة ، وإن اتفاق السياستين سياسة الحكومة المصرية وسياسة  
الحكومة الانكليزية في الأقوال والأفعال ، والشعور والاحساس ، والميول  
والرغبات ، والأساليب والتصورات ، من بلب توارد الخواطر ، ووقوع  
الحافز على الحافر ، كما يقول البلاغيون ، وإن الديمقراطية الصحيحة هي أن  
تخضع أكثرية الأمة العظمى لأقليتها الضئيلة المتهاكمة ، فإن لم تفعل فهي



المنقمة والمنشقة والمنحرفة عن سواء السبيل ، وأن الزعيم الوطني يجب أن يكون رجلا بسيطاً مجرداً من صفات البطولة والنبوغ والشخصية القوية ، والذكاء الخارق ، ليصلح لزعامة الأمة وقيادتها ، وأنه كان من الواجب على سعد باشا كلما برز اليه رجل من الرجال وقل له تمنح لي عن زعامة الأمة وقيادتها لأن تولاها بدلاً منك ، وأمدني فوق ذلك بقوتك وفؤذك وتفتك لأستطيع أن أنزل من نفوس الأمة المنزلة التي تنزلهما ، وأتمتع بحبها واحترامها ، وجب عليه أن يفعل ذلك ، فإن أبي فهو مستبد جبار لا تقع تبعة أقسام الأمتة وتفرقها إلا على رأسه ، ولا يؤخذ بها أحد سواه ، وأن المفاوضات التي لا يمثل إلا فئة قليلة من الشعب لا تجرؤ أن ترفع صوتها إلا بين جدران الحصون ونحت ظلال السيوف أعظم قوة وأكبر نفوذاً وأثبت قدماً وأقدر على استنزال مفاوضه على حكمه من الزعيم الذي يمثل أربعة عشر مليوناً ينضبون لغضبه ، ويرضون لرضاه ، وأن الواجب علينا أن نصبر ونترث وأن لانسى الظن بأعدائنا قبل أن نرى منهم عين الغدر ، ولا بأس أن نسبح لهم بالزحف علينا ، بل باختيار العقبات التي تعترض طريقهم اليها ، بل باحتلال القلاع والحصون المشرقة علينا ، بل بتوجيه فوهات مدافعهم إلى منازلنا ويوتسنا ، فإذا شرعوا في إلقاء القنابل وقذفها علينا انهم يريدون السوء بنا لغاربنام وقومناهم ، وأن سعد باشا زعيم الأمة ورئيسها المقدس وموضوع حبها واحترامها واجلالها واعظامها ظان إلى الرأسة يتلطف شوقاً اليها ، وينهاك وجداً عليها ، أما عدلى باشا طريد الأمة وشريرها فهو رجل زاهد فيها ، قل لها ، ما يمحتمل أن يشاك شوكاً في سبيلها

لا نطيق أن يتحدث الناس هنا أننا صدقناكم في شيء من هذا كله، ولو أننا فعلنا لوضعنا في أيديكم مستنداً قوياً هو أقوى في دلالة على غباوتنا وجملنا من جميع المستندات التي جعتموها حتى اليوم لتكون في يد السياسة الانكليزية أسلحة نحتاج بها علينا ومُلقي بها في وجوه الذين يزعمون أننا أمة عاقلة رشيدة نستطيع أن نحكم أنفسنا بأنفسنا

إصنعوا بنا ما شئتم ، واقتنوا في ظلمنا وارهقنا ما أردتم ، وخفوا من عرائض الثقة والتأييد مائلاًون به غرف وزارة الخارجية الانكليزية من أرضها إلى سبائها ، فذلك إرادة الله التي لا يحصى عنها ، ولكن إياكم أن تزعموا أننا أعطيناكم من قلوبنا وأفئدتنا ما أعطيناكم من ألسنتنا ، فذلك ما لنضرب له كل النضيب ، وما يملأ صدورنا غيظاً وخفناً

نقسم لكم بالله أننا ما رأينا في حياتنا ولا في تاريخنا الحاضر أو الغابر أطمع ولا أشره منكم ! ألم يكفكم مساعدة البحر لكم . ونزوله على حكمكم ، وأن القوة الانكليزية من ورائكم تمدكم بكل ما تترجون من سلاح وعدة ، وأن في استطاعتكم متى شئتم أن تههروا على كل ما تريدون دون أن يحاسبكم عليه محاسب ، أو يراقبكم مراقب ، حتى أردتم أن تجمعوا إلى متعة الظلم الوحشي الذي تنعمون به متعة السمعة الحسنة ، والذكرى الطيبة ؛ تريدون أن تظلموا فيسي الناس ظلمكم عدلاً ، وأن تقتلوا فيقبل المقتول أيديكم اعترافاً بفضلكم ، وأن تختلسوا الثقة من الناس اختلاساً فيشكر لكم هؤلاء الناس بفضلكم بقبول الهدية التي قدموها إليكم ، وأن تضربوا الاغلال الثقيلة في عنق الامة قترقص فرحاً وسروراً بالمقود القلوي الجميلة الذي قلدتم بها جيدها ، وأن تملأوا الجو هواء قتيلاً خفياً

فيستنشقه الناس هواء طلقاً عتيلاً ، وأن تضعوا على قرص الشمس حجاباً  
كثيفاً حتى ما ينبعث منها شعاع واحد فينبهج الناظرون بمنظر نورها  
المتلألئ الساطع

لقد دتمم مرأماً لم يرمه أحد قبلكم ، وبلغتم في الانانية والذانية  
الغاية التي لا غاية وراءها ، فآه لو استطعتم أن تفهموا ، ويسر لكم أن  
تطمأن ، أن المستحيل لا يمكن أن يكون ممكناً ، والممكن لا يمكن أن يكون  
مستحيلاً ، وألا وجود شيء في العالم غير الحقيقة المجردة !

آه لو فهمتم أن هذه الامة التي تحترقونها وتزددونها ، وتصفونها بالجهل  
والنباوة ، والفرادق والبساطة ، أمة عظيمة جداً لا مثيل لها بين الأمم في سلامة  
فطرتها ، وذكاء قلبها ، ودقة شعورها واحساسها ، وسمو خصائصها ومزاياها ،  
وأن عيبها الوحيد الذي لا عيب فيها سواه أنكم من أبنائها وسلاطينها ،  
وأحكام العقبة الكؤود التي لا تزال تعثر بها كالمحاولت المضي في طريقها ،  
والسعي الى الغاية التي هيأتها الاحقاد لها ، ولولاكم ولولا أنكم اليد التي  
يضر بها العدو بها ، والخطرة التي يجتازها اليها ، لما استطاع أن يمس شجرة من  
رأسها ، ولا أن يخطو خطوة في أرضها ، ففرغ منكم ، ومتى يحكم الله بيننا  
وبينكم

لا عذر لكم بعد اليوم ، فقد قلتم كل شيء ، وفعلتم كل شيء ، واستغفدتم  
جميع ما وهبكم الله من القوى العقلية والمادية ستة شهور كاملة في سبيل  
إسقاط سعد باشا فلم تسقطوه ، وفي حل الامة على اتهالون في حقها فلم تستطيعوا ،  
فاذا تنتظرون ؟

أمصمبون أنتم على الاستمرار في خطتكم هذه الى النهاية ؟ أعازمون

على أن تعتبروا الامة كية مهملة لاحساب لها ، وان يؤلفوا من أنفسهم  
جمعية صغيرة تزعمون أنها الامة باجمها لتصدق على المشروع الانجليزى  
المنتظر ١

ان كان هذا هو ما يريدون ، وما أحسبكم تريدون غيره ، فاعطوا ان  
لالمة شأنها المستقل عن شأنكم وشأن مشروعكم وجميعيتكم ، وانما تعاملوه  
لا ينفعكم ، ولا ينفع أصدقائكم ، ولا يفتى عنكم ولا عنهم شيئا

## اليوم الاسود \*

أتمرون ماذا فعلتم بالأمس في أسيوط وماذا كنتم تريدون أن تفعلوا  
في كل بلد ينزله سعد باشا في رحلته لو وجدتم إلى ذلك سبيلا ؟  
إنكم قد وقستم بأفسحكم على صك اعترافكم بمجزمكم وقصوركم . وفراغ  
أيديكم من كل حول وقوة ، وأن هذا منتهى ما في وسعكم . وكل ما تملك أيماكم  
أبعد ستة شهور كاملة تكتبون وتخطبون ، وتلصسون وتكيدون ، وتلفقون  
وتكذبون ، وتصادرون حرية الألسن والأفلام ، والنظر والتفكير ، وتنترون  
ذهب المعز وتيجرون سيفه في كل بقعة وأرض ، لتكوين حزب سياسى  
عظيم ، يعضد الانجليز في سياستهم ، ويمين الوزارة على البقاء في مركزها .  
ويقارع حزب سعد باشا مقارعة البطل للبطل ، يتكشف الستار عنكم  
\* كنتت على أثر تلك المؤامرة العظيمة التى تمت بالاتفاق بين القوة لانكليزية  
والحكومة المصرية وأمراد من يجرى المشتب في أسيوط وكان يراد منها هلاك سعد باشا  
ومن معه عند وصوله في رحلته الى هذه المدينة صلحه اة إلا أن كثيرا من رجاله  
وأصاره قتلوا وأغرغوا في التهرقم بذلك النار على هؤلاء المجرمين أبدا الدهر

فإذا أنتم رؤساء عصابات ، وإذا الحزب الذى كوشموه فتة من اللصوص  
المجرمين حملة المراوات والنبايت ، وسكان الأحرار والغابات ، يستطيع  
كل انسان يأمن جانب الحكومة ويعلأ يده منها وإن كان أجنبى الجبناء ،  
وأضعف الضمفاء ، أن يستعين بمنلهم على مثل ما استعتم بهم عليه ؟

أهنا هو الحزب السياسى العظيم الذى هيايموه للفصل فى القضية  
المصرية ، والبت فى حاضر مصر ومستقبلها ؟

أهنا هو الحزب المفكر العامل الذى يمشى الى أغراضه السياسية بخطوات  
هادئة وزينة يسجز عن مثلها الجمهور الأهوج المستطار الذى تتعون عليه  
كل يوم طيشه وخفته ، وجهله ودهوته ؟

أما إني لو كنت مكان رئيس الوزارة الذى تزعمون أنكم حماه  
ودعاه ، وأنصار سياسته ، وعماد وزارته ، لأحسنت تأديكم على غشكم  
إيلى ، وخديعتكم لى ، حينما زعمتم أنكم رؤساء معطاءون فى عشاركم وقبائلكم ،  
وأن فى استطاعتكم تكوين حزب سياسى قوى يضر قوته وعظمته وبيله  
وشرفه حزب « الرعاع » الذى كونه سعد بلشا ، فإذا أنتم لا شيء ، وإذا  
الحزب الشريف النبيل الذى كوشموه وسبتموه بالسى ، ونسبتموه لى ،  
جماعة من قطاع الطرق يترفع عن الاتصال بهم عمدة قرية صغيرة ، فضلا  
عن رئيس حكومة عظيمة ، ولكن ما أدرا ما ألا يكون زعيمكم مثلكم  
سخافة وجهلا

ما هكنا تساق الأمم أبها البلهاء ، ولا هكنا تقاد الشعوب ، ولا  
بمثل هذه الاساليب توجه الأفكار الى انخراط السياسية ، وما سمعنا قط

إلا في عرفكم واصطلاحكم أن النبأيت والعصى والخناجر والبنادق وسيلة من وسائل التأثير والإقناع !

حاربوا الرجل بالأسنّة والأقلام كما يحاربكم ، وقلروا بالحجة والبرهان كما يفارحكم ، وحلجوه بالصرامة والصدق والنبيل والشرف كما يحتاجكم ، فإن أمكنكم ذلك فذاك ، وإلا فلا تلجأوا إلى الضربة الثالثة الفادحة التي يلجأ إليها المبارز الجبان حينما يعجز عن الثبات أمام خصمه ، ويشمر بتفوقه عليه ما أقساكم وما أغلظ أكبادكم ! أمن أجل تقديم مستند بسيط للسياسة الانجليزية تعتمد عليه في أثبات أن الرجل الذي يناوضها اليوم يمثل الأمة المصرية أو أكثريتها ، وأن الاتفاق الذي يفتقونه معه كيما كان شأنه اتفاق سائع مشروع ، ومن أجل أن يتيسر لوكيل وزارة الخارجية الانجليزية أن يصرح في مجلس النواب بوجود فتنة في مصر بين حزب زغلول باشا وحزب الحكومة ، تسفكون دماء أبناء وطنكم ، وهتفون أكبر جريمة تماقب عليها الشرائع السوية والأرضية ، وتلبسون أنفسكم وأبناءكم وذرايكم العار الذي لا يبلى أبداً الدهر !

أليس لكم أولاد يخافون أن ينتقم الله منكم فيهم ، ونساء نخشون أن ينزفن الموع غداً على قلذات أكبادهن بما أذقنهم من دموع أولئك الامهات المساكين اللواتي تجتمهون في أولادهن ، وقلذات أكبادهن ؟ أين هم العدليون الذين يتحدثون عنهم . وتحاولون اقتناع السياسة الانجليزية بوجودهم ، وفي أي أرض يقطنون ، ونحت أي سماء يعيشون ؟ أمن أجل يضع شرادم من الضعفاء المهذوعين . وآخرين من المستقلين المداهنين ، الذين يوجد مثلهم في كل أمة وشعب ، والذين يطيطرون مع القوة

حيث طارت ، ويقعون معها حيث وقعت ، وبعضون كل حكومة حتى حكومة بيروت ، تزعمون أن الأمة منقسمة على نفسها ، ولها فريقان سعديون وعدليون ؟

لم يتكون حزب سياسي في مصر تحت زعامة عدلى باشا والناس لا يعرفون من أمر الرجل شيئاً سوى أن السياسة الانجليزية اختارته لرئاسة الوزارة والمفاوضة في المسئلة المصرية ، فان ذكر ذا كرت منهم شيئاً من ماضيه لا يذكر له سوى أنه كان عضواً معها في وزارة الحماية التي ضربت على مصر في سنة ١٩١٤ وأنه أول من ثفر في جنح الظلام ذلك السد المتين الذي أقامته الامة المصرية في وجه لجنة ملتر ، وأنه أول رئيس وزارة اجترأت على مفاوضة الانجليز في المسئلة المصرية رغم إرادة الأمة وإرادة وكلائها

لم يتكون حزب سياسي يتشبع لعدلى باشا ويحتد في مناصرته ولأيديه ، ويحمل النبايت والعصى لمحاربة خصومه ، قبل أن يحرك يداً أو لساناً في القضية المصرية ، وقبل أن يعلم الناس ماهو صانع فيها غداً ، أينى بالوعد الذي وعدهم به ، أم تحول الحوائل بينه وبين الوفاء ، وهل الثقة إلا نتيجة طبيعية للعمل والاحسان فيه ؟

لم يتنكر الناس لسعد باشا وتحولون من مسالين له إلى محارين ، هل خان الامانة التي عهدوا بها اليه ؟ أم قصر في المطالبة بحقهم ؟ والتعبير عن آمالهم وأمالهم ؟ أم وعدهم بالنزول على رغبتهم فقادهم بالسيف والتار إلى النزول على رغبته ؟ أم حول الحرب التي كانت بينهم وبين أعدائهم إلى حرب بينهم وبين أنفسهم ؟ أم وضع الكأثم في أفواههم فلا ينطقون ؟ والأغلال في أيديهم فلا يتحركون ؟ أم فنص عليهم حياتهم الاجتماعية

وحول إبتساماتهم الى دموع ، ومسيراتهم الى أحزان وآلام ، وآلامهم  
في الحياة السعيدة الى يأس وكمد

ألم يصدروا قرارهم العام في أمره يوم احتفلوا بقدومه من أوروبا احتفالاً  
لم يظفر به ملك متوج ، ولا فلاح كبير ، فأى الاحداث أحدث بعد ذلك  
فيتمكروا له ، ويضربوا له البضياء بين جوانحهم ؟

ألم يزل يهتف بالاستقلال التام لبلاده كما كان يفضل من قبل ؟  
ألم يزل يقارع الأعداء الناصيين في حاضره ، كما كان يقارعهم في ماضيه ؟  
ألم يحاولوا خداعه والعبث بضيقه واستزاله عن صلابته وعناقه  
في التمسك بحقوق بلاده فلم يفتقر ولم يتخضع ، وآثر أن يستهدف لهذه الحرب  
الهائلة التي ينيرها عليه أعداؤه وأنصار أعدائه من نبي وطنه على أن يفرط  
في ذرة واحدة من حقوق الوطن المقدسة ؟

ألم يكن في استطاعته أن يقبل رئاسة الوزارة حينما عرضوا عليه لينتزع  
برؤية رجال الادارة الذين يتنافسون اليوم في الاسامة اليه والتبيل من كرامته  
جائين على بابه يتلقون أوامره ويعطون بها في كل شرق ومغرب فلم  
يفعل ، وفضل أن يكون فرداً من أفراد أمته واقفاً بجانبها يشاركها في همومها  
وآلامها ، ويشرب معها بالكأس التي تشرب منها ، على أن يكون آلقى يد  
السياسة الانجليزية لقتلها ، وخنق حريتها

أمن أجل هذا يبغضه الناس ويتكبرون له ولا يقنعون منه بذلك حتى  
يحملوا في وجهه المراوات والهمى ليمنعوه من النزول ببلادهم ؟

هل تنزلوا عن مطالبهم الوطنية ونفضوا أيديهم عنها ، فهم يتكبرون عليه  
تمسكه بها وتشده فيها ؟



هل صفت مياه الود بينهم وبين الانجليز ، وحل الحب والوثام بينهما  
 محل البغضاء والشحناء ، فهم لا يريدون منه أن يكدر عليهم هذا الصفاء ؟  
 هل كانوا يجاملون فيه السياسة الانكليزية يوم أجلوه وأعظموه وأحلوه  
 ذلك المحل الاعظم من نفوسهم ، فلما تنكرت له وجافته تنكروا له معها ،  
 وغضبوا لنفسها ؟

هل كانت وطنيتهم نوية من نوبات الجنون كما كان يشيع عنهم  
 أعداؤهم ، فلما استفاقوا رأوا أن ينتقموا من ذلك اللسان الذى أثار فى  
 نفوسهم تلك العاطفة وأجج نارها فى صدورهم ؟  
 اللهم لا هذا ولا ذلك ، وكل ما فى المسألة أن الوزارة تريد البقاء فى  
 مركزها ، ولا يمكنها البقاء فيه الا اذا نفتت المشروع الانجليزى المنتظر ،  
 ولا سبيل لها الى ذلك الا اذا فضت الامة من حول سعد باشا وحملتها على  
 الالتفاف من حولها وتأييد سياستها ، وقد عجزت عن أن تصل الى ذلك ، فعلى  
 قزعة وتدعيه ، وتمثل هذه الرواية القريبة التى هى أشبه الاشياء بقصة ذلك  
 الرجل الذى أراد أن يتوصل الى قلب حبيته بعمل من أعمال البطولة التى  
 يحبها النساء ويمنحن الرجال عطفهن من أجلها ، كأن ينحيا من غرق أو  
 ينقذها من هوة ، أو يخلصها من أيدي اللصوص ، وهو أعجز الناس عن ذلك ،  
 فاستأجر جماعة من الفوغاء وافق معهم على تمثيل رواية خلاصتها أنهم  
 يكمنون لها فى طريق مرورها تحت جناح الظلام حتى اذا مرت بمرتبها  
 هجموا عليها وتظاهروا بأنهم يريدون قتلها وسلبها فيمر هو فى تلك الساعة  
 كأنه سائر فى طريقه صادقة واعناقاً فيهمهم عليهم هجمة شديدة تلقى

العرب في قلوبهم ، ويطلق عليهم مسدس المحشو بالرصاص الكاذب ، فيخافون منه ، وفرون بين يديه ، فرار الجوز بين يدي الاسد الرئبال ، وقد مثل الرواية كما وضعها ، وكاد ينجح في تمثيلها ، لولا أن الفتاة كانت ذكية الفؤاد ، قرأت على وجهه حين دنا منها آية التصنع والتكلف ، فلم تحفل به ، ولم تقدم له كلمة شكر على بطولته وشجاعته ، وسارت في طريقها وهي تنرب في الضحك عليه ، وعلى غرابة تصوراته

هذه هي المسألة لأكثر من ذلك ولا أقل

ما أجراً كم أيها القوم على الله وعلى الناس أجمعين !

أنكذرون على أربعة عشر مليوناً من النفوس أحياء يرزقون يقولون لكم بأستهم وأقلامهم وبجميع ما يعرفون من الطرق والوسائل إنهم أنصار سعد باشا وأعداء السياسة الانجليزية فتقولون لهم لا بل أنتم أنصار عدلى باشا وأصدقاء السياسة الانجليزية

أيسيل النيل وشامشاه بالهاتين الرجل ، والمرحبين به ، والمخاضين عباب الماء الى سفينة ، مخاطرين بأنفسهم عليهم يرون وجهه ، أو يسمعون صوته ، حتى احتجتم في دفعهم وردم الى ضرب الرصاص ، وإعمال السيوف ، ثم تقولون بعد ذلك إن البلاد تكره سعد باشا ولا تطيق رؤيته ؟ أثرون بأعينكم لمعان السيوف في أيدي رجل البوليس ، وتسمعون بأذانكم طلقات بنادقهم . وتشاهدون مطاردتهم الناس . وهدمهم الزينات . ووضعهم العقبات . ثم تقولون بعد ذلك ان الادارة كانت على الحياد . وان حزب عدلى باشا القوى العظيم في أسبوط هو الذى أرغمها على منع سعد باشا من النزول الى البر ؟ دعونا من سياسة النمائس والمكائد . وللمواربة والمداجلة . والتلفيق

والتأويل ، فهي سياسة عقيمة لا تصلح تربة مصر الطيبة الطاهرة لآبائها واستثمارها ، ودهونا من أساليب المكر والنعا ، والخبث والرياء ، ومن قتل القتل والسير وراء نفسه ، وخنق الحرية والبكاء عليها ، والاخلال بالأمن العام باسم حفظه وصيافته ، وانتهاك حرمان الناس باسم حمايتها والقود عنها ، وأمثال ذلك من الأساليب العتيقة البالية التي ذهبت وانقضت عصرها بانقضاء عبور الجهالة والسذاجة ، وخدوا بنا في الحقائق المجردة الواضحة التي لا لبس فيها ولا إيهام

ارفضوا الاحكام العرفية ، والقوانين الاستثنائية ، ودعوا الناس احراراً يفكرون كيف يريدون ، ويقولون ما يشاؤون ، مما لا يخرج عن دائرة القانون والنظام ، نصدق أنكم قوم احرار تقدسون الحرية وتجلون شأنها تزهزحوا قليلا عن تلك الحائط الأجنبية التي تسمنون اليها ظهوركم ، وتستغلون بظلمها ، وتضربون تحت حمايتها ، وليكن التضال بيننا وبينكم وجهاً لوجه ، نصدق أنكم أصحاب رأى وعقيدة ، وانكم انما تعملون بما توحيه اليكم آراؤكم وأفكاركم

أشيدوا على الوزارة بقطع المفاوضات ، وقولوا لما إن الأمة غير راضية عنها ، ولا عن نتيجتها ، نصدق أنكم تنزلون على إرادة الأمة وورغبتها وانكم محترمون اجماعها ، وتنزلون على حكمها

اعترفوا بالحقيقة الواضحة التي تملونها جميعاً ، وهي أن حزب الحكومة في مصر حزب مصنوع موضوع لو نفّس عنه الخناق قليلا وتحل عنه العاملان المهيمنان ذهب « المز » وسيفه لحظة واحدة لطار في أجواز الفضاء ، ولما بقى منه في مكانه إلا أفراد قلائل لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد

واليدنين، وان مصر لا يوجد فيها إلا حزب واحد تطارده الحكومة وعما لها  
والنصارى، نصدق أنكم قوم مخلصون، لا تقولون إلا ما تستمسون  
هذه هي السبيل الوحيدة لما تطلبون اليها من الثقة بكم، والاعتماد  
عليكم، واحترام آرائكم وأفكاركم، ولجلال مقاصدكم وغاياتكم، فإن فعلتم  
فانتم اخواننا وأصدقائنا، وأكرم الناس علينا، وإلا فقد علمتم رأينا فيكم،  
وما نحن بظالمين ولا ظالمين، ونسأل الله لكم الهداية والتوفيق

## جريرة الانشقاق\*

لو أنكم أيها المنشقون بقيتم تحت لواء زعيمكم لم تفارقوه ولم تنتقضوا  
عليه إن لم يكن ذلك من أجله فمن أجل كرامة الأمة وشرفها، والبقاء على  
وحدتها وجامعتها، ولو أنكم إذ أنتم ألا أن تفارقوه فارتدوه بهود وسكون  
لم تسيروا الثائرة عليه ولم تطعنوا خلقه وشرفه وكرامته تلك الطعنات  
الداميات التي لا يحتمل وقها في فؤاده أحقر الناس وأصغرهم في عين نفسه  
شأنًا، ولو أنكم يادرجال الوزارة بدلا من أن ترسلوا رشدي بشا اليه يوم  
استمعى عليكم أمره ليؤذنه بالحرب وليقول له إنا قد قررنا رفض شروطك  
وإفغال أمرك وإطراحك والاستقلال بالعمل من دونك رغم أنك وأنت  
الأمة التي تمزج بها أرسلتموه إلى دار الوكالة البريطانية ليقول لصاحبها إنا قد

\* كتبت على أثر مثل عدل ما ترويت في المفاوضة الرسمية التي مزقوا في سولها  
وحدة الأمة وأهلكوا ما لا يحصى من رجالها ونسائها وأطفالها قتلًا وسحت وتمديدًا ثم  
كانت النتيجة أن عرض الانجليز عليهم مشروطًا أغل من المشروع الذي عرضوه على  
سند بإشفاقه وكافوا على استمداد لقبوله لولا خوفهم من الأمة ونضيبها

هيهونا من اقتناع سعد باشا بالتنازل عن شروطه التي اشترطها للمفاوضة معكم ،  
وليس في استطاعتنا وهو زعيم الأمة وقائدها وقلبها الخلاق أن نخاطر بمخاطبته  
ومناواته إلا إذا قررنا المخاطرة بوحدة الأمة وجامعتها ، وذلك مالا نرضاه  
لأنفسنا ، وما يآله علينا شرفنا وإخلاصنا ، فها هي ذى وزارتكم تغفوها  
اليكم ، فهي ونحن وكل ما تملك أيدينا فدى لأمتنا ووطننا ، ولوأكم إذ  
أيتم الا البقاء في مراكزكم ، وإلا أن تنهبوا إلى المفاوضة رغم إرادة الأمة  
وإرادة زعيمها ذهبتم باسمكم وحدكم دون أن تفتحوا باب المراض والوفود  
وتدخلوا الأمة في شأن الثقة والتأييد ، فان عدتم لها بالنجاح شكرت  
لكم فضلكم ، وأولتكم ودها وفتحها ، والا فلا يعنيها من فشلكم  
وإخفاقكم شيء

لو أن ذلك كله كان لبقيت الأمة طول حياتها في موقعها الجليل العظيم  
الذي وقفته في أعوامها الثلاثة الماضية ، موقف الاتحاد والتضامن ، والقوة  
والبأس ، والمزعة والشرف ، وظلت سائرة في طريق جهادها الوطني تحت  
قيادة زعيمها حتى فصل إلى الغاية التي رسمتها لنفسها ، أو تموت من دونها  
فأنتم يا خصوم سعد باشا وخصوم الأمة جميعها المسئولون عن ذلك  
الشمل المبدد ، والاديم الممزق ، والجامعة التي شوه وجهها ، وزال روحها  
وبهاؤها ، وعن حوادث الاسكندرية وطنطا وأسيوط وجرجا وجميع المظالم  
التي نزلت بالوطنين الأبرياء في الأشهر السبعة الماضية من قتل وسجن ، وإعدام  
وتشريد ، وتعذيب واضطهاد ، وعن تلك النهاية المحزنة الأليمة التي انتهت  
بها المفاوضة الأخيرة ، فاعترفوا بذلك ، ولا تكتسوه الناس ، عسى أن  
تجهنوا لكم في زوايا بيض القلوب مكاناً للراحة بكم ، والاشفاق عليكم ، ولا

تحاولوا إلقاء التبعث على غيركم، فعضوا إلى جرائمكم الماضية جريمة النناد والاصرار

من الذى عهد اليكم بالاستئغال بقضية مصر السياسية ؟ وأين هو المؤتمر الوطنى أو الهيئة النيابية أو الجمعية الوطنية التى وكلت اليكم ذلك واختارتكم له ؟ ومتى حكمت الشؤون السياسية ميداناً للتجارب والاختبارات ينزل فيه كل من أراد أن يجرب حذقه ومهارته ؟

إن الامة لم توكل فى قضيتها غير رجل واحد ، قد اختار بضعة أفراد منكم فيمن اختاره من أصدقائه ومعارفه للاستمارة بهم على عمله ، ثم لم يحمد أمرهم حين أحس منهم النذر به وبالقضية المصرية فزلمهم وعزلتهم الامة معه ، فما هذا التثبت البارد بعضوية الوفد ، والوكالة عن الامة ، والتعلق باسمها ، والمفاوضة عنها ، والامة لا تعرفكم ، ولا تفهمكم ، ولا صلة نفسية بينها وبينكم ، ولم تقتد فى وقت من أوقاتها أنكم وكلاؤها أو نوابها ، أو أمناؤها على سياستها ، حتى أوردتموها بالمحاكم وفضولكم وسوء سياستكم هذا المورد الوبيل

لاتلوموا سعد باشا على فشلكم واختاقلكم ولوموا أنفسكم ، قد أبلى الرجل البلاء العظيم فى نصحكم وتحذيركم ، وتبأ لكم بكل ما وقع لكم اليوم كأنما كان يطالع صحيفة من صحائف الغيب فلم تكنروا له ، ولم تحفلوا بنصحه

قل لكم إن المفاوض الانجليزى لا يحفل ولا يعبأ الا بمفاوض يعتقد أنه يمثل أمتة ، وينطق بلسانها ، نطقاً حقيقياً لا تمثيلاً ، فاهتموه بحجب الرأسة والسعى وراء الشخصيات ، وورميتوه بسوء النية والتقص

وقال لكم إن الانجليز لا يريدون بفتح باب المفاوضات معكم إلا الاستماعة بكم على تمزيق شمل الامة وببديد وحدتها ، وهى القوة الوحيدة التى تملكها ولا تملك غيرها ، وألاخير يرجى من هؤلاء القوم لكم ، قدرتم فى وجهه ، وسبحتم لانفسكم أن تسيثوا الظن به ، ولا تسيثوه بالانجليز وقال لكم احذروا أن نخطوا خطوة واحدة فى طريق المفاوضات قبل أن تستوتقوا لانفسكم بمرسوم سلطاني يحدد موضوع المفاوضات ويكون أساسا لها ، فاكترتم ذلك عليه ، وزعتم أن فى أيديكم من الوعود المؤكدة والاقسام المتخلطة ما يفتنيكم عن هذا الاحتياط والاستيثاق

وقال لكم ان الانكليز يخافون أكثر مما يستحيون ، وأنهم لا يعرفون فى السياسة مودة ولا اخاء ، وأنهم لا يريدون من استبدال مفاوض بمفاوض إلا الحرب من شدة الاول عوالطع فى لين الثانى ، فسفتهم رأيه ، وزعتمهم أنهم قوم ذوو أخلاق كريمة ، وآداب عالية ، وعواطف شريفة ، وأمزجة رقيقة ، وأنهم يمنحون الصديق الذى يحاسنهم ، أضعاف ما يمنحون العدو الذى يخاشهم وقال لكم فى نهاية الامر لا ارادة لى ولا لكم فى ما تقضى به الامة ، وما نراه فى شأى وشأنكم ، فلنتحاكم اليها ، ولننزل جميعا على حكمها ، فأكبرتم ذلك منه ، وسمينوه رجلا ثائرا متمردا لا يخضع لقانون ولا نظام قال لكم كل شىء ، وحذركم من كل شىء ، فلم تلوموه اليوم ، وتلقون تبعة اخفاقكم عليه ، ولم يملأ بنفضه صدوركم حتى يصرفكم عن الالتفات الى عدوكم الحقيقى الذى لمب بكم ، وعبث بقولكم ، وكون منكم جيشا جرارا لحاربة أمتكم ، وتنغيص عيشها ، وتكدير صفاتها ، حتى اذا قضى حاجته منكم ، وفرغ من تمزيق شمل الامة وصدد وحدتها على يديكم ، أدلو

وجهه عنكم، وبذلك يبدئ النواة بلا رحمة ولا شفقة، وهذا هو المعنى الحقيقي للملاوضة التي أجراها على أيديكم، وهذا هو كل الغرض المقصود منها ليسأل عدلى بشأن اللورد ملار عن هذه النتيجة الحزينة التي انتهت إليها أمره، فهو الذى خدعه وغشه، ومناه الأمانى الكاذبة، ووقف به على رأس ذلك الطريق الذى ظن أنه ينتهى به إلى رحلة الأمة وقيادتها، ثم لم يلبث أن خذله وتغلى عنه، بل استقال من وظيفته حتى لا يتقيد بالوعد الذى وعده إياه

ليسأل المنشقون عدلى بسا عن السقطلة الأدبية العظمى التي هوت بهم من سماء العزة والشرف، إلى حضيض المهانة والفضة، فهو الذى رين لهم الانشقاق على زعيمهم، واختلاف عليه، وأغرام بأفخاذ خطة فى السياسة غير خطته، ففعلوا فكان ذلك عاقبة أمرهم، وخاتمة مطافهم

يسأل الوزراء جميعا المنشقين والوزراء عن خيبة الأمل التي لحقت بهم، والصدمة الكبرى التي أصطدمت بها آمالهم وأمايهم، فهم الذين ظلوم واستهووم، وأطمعهم فى الجوائز والمنح والوظائف والرتب، يوم يتم لهم الانتصار على أيديهم، فلام أدركوا ما أملوا، فلام بقوا فى صفوف أمتهم يعملون معها، ويجهادون فى سبيلها

يسأل كل منكم صاحبه عن مكبه التي نزلت به - ولا تسألوا سعد ماتنا عن شيء، ولا تلموه فى أمر، بل اشكروا له فصله عليكم، ويده عندكم، فلولاه ولولا جهاده ومعارضته، ووقوفه فى وجهكم ووجه شروعاتكم ووجه الأسد المصور، لثمت على يديكم الجرعة الكبرى، جرعة تسليم البلد إلى أعدائه - ولسجل التاريخ لكم فى صحائفه أنكم أصعاب تلك الجرعة ومقرفوها



تلك أن سعد بشا أصلى منكم فظروا ، وأهل رأيا ، وأشد  
مسورة في يواطن الاشياء ، واه ما كان يمارضكم يوم طرضكم جبا في  
الرأسة ، أو سميأ وراه الشخصيات كما كنتم نزعون ، بل حرصا على مصلحة  
البلد ، وضنا بخلاصه وإقاذه

أفهمم الآن انه لو كان نزل على رأيكم وخضع لاهامكم وأحلامكم  
— وهذا هو ذبه الوحيد الذي تأخذونه به — لدفن معكم في الهوة التي  
دفنتم فيها اليوم ، ولم يبق في الامة من بعده صوت ينادي بحريتها واستقلالها  
أفهمم الآن انه لا يوجد بينكم سياسي واحد يستطيع أن يكتنه يواطن  
السياسة ويستشف اعماقها ، ويحسن إدارة مركبتها إدارة كافلة بفوز الامة  
وانتصارها ، او باقاذاها من خطر الوقوع في الاسر على الاقل ، واه لو تم  
على يديكم اسقاط سعد بشا كما كنتم تريدون لطلال حزنكم وبكؤكم يوم  
تطلبون غيره ليقوم مقامه ويملا فراغه فلا تجدون

ماذا كان يظن أعضاء هشتكم الرسمية بأنفسهم يوم ذهبوا للمفاوضة على  
الصورة التي ذهبوا عليها ، وكيف كانوا يتصورون ان المفاوض الانكليزي  
يعطيهم الاستقلال تاما او ناقصا وقد تقدموا اليه بيد مُصْفَرَّة من كل قوة  
يستطيع المفاوض ان يعتمد عليها في مقارعة خصمه واستنزاه على حكمة

لا يستطيعون ان يقولوا له ان الامة قوة مسلحة تستطيع ان تنصف  
لنفسها بنفسها ان لم تنصفها ، لانه يعلم كما يعلمون أنها ضعيفة عزلاء لا تحمل  
من الاسلحة اكثر من عصي «الساحل» وبايت «الخوافكة» ولا ان  
يقولوا له انها متحدة يدا ولحمة والائحاد قوة تقوم مقام القوة المادية ،

لأنهم قسموا اليه قبل ذلك الوثائق والمستندات الدالة على أنها منقسمة على نفسها وأنها فريقان سعيون وعدليون يقتتلون في كل مكان يلتقون فيه كما كان يفعل البروتستانت والكاثوليك في أيرلندا والمسلمون والوثنيون في الهند ، ولا أن يقولوا له أنها منشدة في مطالبيها الوطنية لاحتيل فيها مساومة ولا مهادنة ، لأنهم قالوا له قبل ذلك وأقسموا على ما قالوا أن أكثريتها قد انقضت من حول سعد باشا والتفت من حولهم ، أي أنها قد تحولت من خطة التشدد والتطرف إلى خطة التسامح والاعتدال ، ولا أن يقولوا له إنها راقية متدينة تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها ، لأنه يعلم حق العلم الأساليب الوحشية التي اتخذوها في سبيل الحصول على عرائض الثقة التي قدموها اليه وماذا صنعوا بأنهم في سبيلها ، فإذا يعنيه من أمرهم بعد ذلك ؟

لأرعاكم الله أيها القوم ، ولا رعي يوماً اتصلنا بكم فيه ، ضد افندتم علينا كل شأن من شؤون حياتنا ، وهدمتم بمحقكم وخرقكم وسوء رأيكم في لحظة واحدة ذلك البناء الفخيم الجميل الذي قضينا في بنائه ثلاثة أعوام كاملة ، ولم نقنعوا منا بذلك حتى جثم اليوم ثمنون علينا بأن يشتكم قد قطعت المفاوضات بشرف وإيلاء وأن لما الحق في الافتخار بذلك

مرحى مرحى ! ألم تكن المفاوضات مقطوعة من قبل اليوم على يد سعد باشا فهل كان غرض البعثة من ذهابها أن تقطعها مرة أخرى حتى إذا تم لها ذلك علوت تفخر بنفسها وتفتخرون بها وتدعون الناس إلى الاحتفال بها عند قدومها ؟

أمر يدون أن نخفل بها لنجدد بذلك عصر الجاهلية الأولى أيام ضراعة

الشعوب وذلها ، ومهاتها واستخفافها ، وتقبلها يد ضاربها حين يضربها ،  
وشرب نخب انتصاره عليها !

أتريدون أن نحتفل بها ليتحدث الناس عنا أننا قد رضينا بجميع المظالم  
التي نزلت بنا ، وأغضينا جفوننا على قناتها ، فيطمع فينا كل طامع ،  
ويسبب بحقوقنا كل عايب !

أتريدون أن نحتفل بها لتبرز لنا كل يوم هيئة جديدة تمتنع باب  
المفاوضة في القضية المصرية ثم تقفله لتستمتع بكلمات الثناء عليها ، ومشهد  
الاحتفال بها ، ونحن فيما بين هذا وذاك هلكن ضائعون !

أتريدون أن نحتفل بها قبل أن نعلم هل نفضت يدها من المفاوضة إلى  
الأبد ، أو أنها قطعنا اليوم لتصلها غدا ، وهل صرفت النظر عن عرض  
مشروع كروزن على الأمة ، أم تريد عرضه من طريق غير طريقها ، وهل  
الوزارة عازمة على البقاء في مركزها ، أم تريد أن تتحلل لتتألف مرة ثانية  
بصورة أخرى غير صورتها لئبقى لنا شقاؤنا وبلاؤنا الذي نحن فيه أبد  
الدهر ، وهل برئنا من دأبها تمام البرء ، أم لا تزال بقية منه كامنة في أعماق  
صدورنا لا نعلم ما الله صانع بها !

وبعد فإن هي المفاوضة التي تزعمون أنها قلت بها ، أو أنها قطعتها أو  
وصلتها ؟

إنها لم تفعل شيئا سوى أنها تقدمت لاداء الامتحان امام اللورد  
كروزن في القدرة على حمل مشروعه الى الأمة وتنقيته فيها فأخفقت  
فأدت ادراجها

فهل هذا هو الفخر الذي تزعمونه لها ، وتتحكونها إليه ، وتريدون حلنا

بالاساليب الادارية المهودة على الاحتفال بها من أجله ؟  
 إن كان تمزيق شمل الأمة ، وببديد وحدتها ، والاستعانة بالقوة الاجنبية  
 على إخضاعها واذلالها بموسمك السماء البريئة في الميادين والشوارع ، وزج  
 الوطنيين المخلصين أفواجاً أفواجاً في أعماق السجون ، وإتباع التهم والضائر ،  
 ومحاولة إفساد الاخلاق القومية في جميع الدوائر والهيئات حتى في المدارس  
 والمعابد والمحاكم ، والتفريق بين الولد وولده ، والاخ وأخيه ، والصديق  
 وصديقه ، والزوج وزوجه ، وفساد سياسة الأمة عليها ، وإطماع أعدائها  
 فيها ، والمهبط بالمفاوضات بعد ذلك كله وبعد تضحية جميع هذه الضحايا  
 من مشروع ملتحق الى مشروع كرز ، مجدداً وغفراً يستحق أصحابه الاجلال  
 والاعظام ، والاحتفاء والاحتفال ، فرحة الله على الفضيلة ، وليبك الباكون  
 عليها وعلى مصيرها المحزن الاليم  
 كونوا أيها القوم كيفما شئتم ، وأضربوا لنا من الشرور ما أردتم ،  
 وربوا لنا في أذهانكم كل يوم مكيبة جديدة ، أو دسيمة مبتكرة ، فحال  
 أن تنالوا منا مثالا ، أو تصلوا من طريقنا الى غاية ، فنحن بعون الله وقوته  
 كل ما هدمتم ، ونصلح كل ما أفسدتم ، لا نضعف ولا نقتر . ولا نهين ولا  
 نياس ، فما خلقت الامم الا للجهاد ، ولالة للحياة الابلعل ، حتى ياتي  
 عليكم ذلك اليوم الذي تقتنعون فيه تمام الاقتناع بأن في الامة رأياً علما جدياً  
 لا يسمح لرأس متوج يريد أن يرفع على حسابها ، وحساب ظلمها واساءتها ،  
 بالبروز من مكانه ، وأن لا قوة في مصر غير قوة الشعب ، ولا حكم فيها  
 الا حكمه

## عبرة الدهر \*

الآن أمنت على مصر أبد الدهر ، وأيقنت أن الباطل ظل زائل  
لا ثبات له ، وأن الحق صخرة عالية لا تززعها المواقف ، ولا تبعث بها  
علاويات الأيام

قد مرت بي في غضون الأشهر الفائتة ساعلت أعترف أني خفت فيها  
على الحق أن يقتله الباطل ويصرعه ، عندما أشرفتُ على ذلك الميدان  
الواسع الفسيح — ميدان المعركة السياسية المصرية — ورأيت ذلك  
الجيش العجيب المرمم جيش الباطل زلحاً بجنيته ورجله ، وفي مقدمته القوة  
الانجليزية بمدافعها وطياراتها ، وصواعقها ورجومها ، وفي مؤخرتها القوة المصرية  
بينادقها وسيوفها ، وسياطها وعصبيها ، وفي أحد جناحيه الوزارة يحيط بها  
أنصارها وصنائعها ، وذوو الحاجة إليها ، وفي الجناح الآخر المنشقون يحيط  
بهم خنسمهم وفلاحهم وأجرؤهم وأهلومهم ، وفيما بين هذا وذلك الكتاب  
الكاذبون ، والخطباء الخادعون ، والنمطة الخبيثاء ، والجواسيس النعاة ،  
والاحكام العرفية ، والمجالس العسكرية . والقوانين الاستثنائية ، والاكاذيب  
والأراجيف ، والصبور والتهاول ، وكل ما يمكن أن يسي قوة يهجم بها  
هاجم على خصمه ليسلبه في آن واحد قوة جسمه ، وقوة قلبه ، وقوة يقينه ،  
وقد ذهبتُ لذلك الجيش في آفاق السماء جلجلة كجلجلة الرعد اقاصف ،  
وانتشر له في جميع الأنحاء برق يخطف الأبصار ، ويشي الانظار ، قالتُ  
« كتبتُ لمناسبة فشل المنشقين والمعارضة الرسمية وتفضيع امرهم به ذلك وانخفاض  
أنصارهم من حولهم به مثابهم

إلى الجانب الآخر من الميدان ، فرأيت سعد باشا واقفاً في مكانه أعزل  
 لا سلاح معه ، ولا يحيط به إلا سواد الأمة الأعزل مثله ، قابضت من  
 صدرى صرخة الرعب والخوف ، وخيل إلى أن الرجل هالك هو وأمنه ، مافى  
 ذلك ريب ولا شك ، ثم هجم ذلك الجيش العظيم هجمته الكبرى التي  
 لم يسمع بمثلا في تاريخ هجوم الأقوياء على الضعفاء ، والتي استمرت سبعة  
 شهور كاملة لا تهدأ ولا تنتر ، فثبت الزعيم في مكانه نباتاً غريباً مدهشاً ، وكأنما  
 استحال إلى كرة فولاذية ملساء تنساقط عليها السهام ثم تنزلق عنها ، وربها  
 أصابت جسمه بعض الجرحات ، ولكن لم يستطع سهم واحد أن ينفذ إلى  
 قلبه ، وبنتت الأمة بثباته فلم تن ولم تضعف . ولم تمأ ولم تحتفل . ولم تأخذ  
 بلها الصور والهاويل ، ولم تتل من نفسها الأكاذيب والأراجيف ، ولم  
 تعبت بمقيستها اللسنة الخالصة . والأقلام الخادعة ، وهامى ذى الأليم قد  
 أخذت تدور دورتها ، فاققلب الجيش المهلجم مدافعاً . والجيش المدافع  
 مهاجماً ، والله في خلقه شؤون ، أظفر اليهم هامم ألام يتفقدون . وإن كانوا  
 لا يزالون يضربون ، هامى ذى ألسنة خطباتهم تنلجج في أفواههم ، وأقلام  
 كتابهم تضطرب في أيديهم ، هامى ذى وجوههم قد عثتها غيرة الموت .  
 وفلهم تنزى بين جوانحهم تنزى الكرة في أيدي ضاريها . هامى ذى  
 أصواتهم قد مزجها أبين محزن كآين المحتضر . وصرخاتهم قد استنحلت  
 إلى عواء كهواء الذئاب ، هامم أولاء يخططون ويهتفون . ويسبون ويشتمون ،  
 ويسخبون ويحتدمون ، أى إنهم يلجأون إلى السلاح الأخير الذى يلجأ  
 إليه المتهور في ساعته الأخيرة ، هامم أولاء يخافون من كل شئ حتى من خطبة  
 يخطبها أزهري في مسجد ، أو كلمة يقبها طالب في منزله . أو صرخة

يصرخها صارخ في محفل ، ومن همس المامسي في أذن أخيه ، ونظرة  
 صاحب في وجه صاحبه ، ومن قدوم بضعة أفراد من أعضاء مجلس  
 النواب الانجليزى الأحرار الى مصر لا يملكون إلا قليلا من الحول  
 والقوة ، ومن سفر الزعيم من بلد إلى بلد لا يحصل إلا قلبه ، ولا يملك إلا لسانه  
 ما يلزم ، وما الذى دهام ! ومم يخافون ، والقوة فى أيديهم ، والأيلام  
 موالية لهم : والدهر تزل على حكمهم ، نعم ولكنهم مبطلون ، والباطل  
 لا قوة له وإن اجتمعت فى يده جميع القوى

تلك عبرة الدهر التى يجب أن يعتبر بها أولادنا وأحفادنا من بعدنا  
 فلتقرأوا يا أبناء الأجيال المقبلة هذه الصفحة المحيية من تاريخ حياتنا  
 لتعلموا أن رجلا واحداً من أبناء امتكم تمسك بلحق فاستطاع أن يثبت  
 أعلام أقوى قوة فى العالم ، وأن نبأه قد أقعد مصر من أعظم نكبة كان  
 يدّخرها لها الدهر فى طيات تصاريفه ، ولتُخنوا رده ومكم أمام هذه الذكري  
 المحيية إجلالاً لها ، واعظاماً لثأنها ، ولتجسوها مثلكم الاعلى فى مستقبل  
 حياتكم ، وعبرتكم البليغة التى تفتيكم عن جميع العظات والعبر

الآن أمنت على مصر أبداً الدهر . فافى العالم قوة تستطيع أن تهاجمها  
 أعظم من هذه القوة ، وليس فى الامكان أن تحمل بساحتها نكبة أهول  
 من هذه النكبة ، وما أحسب إلا أن الله سالى قد أراد أن يلوها ويختبرها  
 فامسحها بهذه المحنة الفادحة ليرى كيف يكون صبرها واحتمالها ، وقوة  
 يقينها وإيمانها . فمصحها من حسن الجزاء ، على قدر ما تبذل من حسن  
 البلاء ، وقد أبليت بلاء لم يبله أحد قبلاً ، فلتنتظر الجزاء الاوفى ، والثوبة  
 العظمى ، ولتهنأ منذ اليوم بالمستقبل الباهر السعيد

## إلى أعدائنا\*

١

نعم إنكم أقوى جدا ، بل لا توجد قوة في العالم تولي قوتكم ،  
ولكننا على ضعفنا وخلق أيدينا من السلاح والسمة أقوى منكم ، لانكم  
حاولتمونا بسلاح الخديعة والمكر الذي ألقم أن تنتصروا به على الشعوب  
الشرقية قرونا عدة فلم نرمم أماننا ، واستطاع هذا الشعب الشرق الصغير  
حديث العهد بالسياسة وأساليبها ومناوراتها أن يدرك خبايا مقاصدكم  
ومراميكم ، وأن يمزق من وجوهكم ذلك الستر الكثيف الذي كان  
يجعلها ، وأن يقول لكم بصوته العالي المرتفع : لا أقبل الخديعة والألاعيب ،  
فأما الاستقلال فلما صريحا لاربية فيه ، أو لا شيء.

إننا أقوى منكم لانكم لم تستطيعوا أن تتخذونا عن أعيننا ، ولا  
أن تستزلونا عن عقيدتنا وقيتنا ، أما تلك القوة الميكانيكية التي تهرعون  
بها في شوارع البلاد وأزقتها ، وتملأون بها وجه الارض وجو السماء .  
فهي مما لا ينفخر به الفخر ، ولا يدل به المدل ، لانها شيء . والصفات  
النفسية والمزايا العقلية شيء آخر

هل استطعتم بعد مقامكم بيننا اربعين عاما ان تصطنعوا رجلا واحدا

\* كتبت هذه السلسلة على أثر تقي سعد باشا وصحبه بأمر السلطة الانكليزية  
تعيد تأليف وزارة أخرى من أولئك اللذين تستطيع أن تمتد مشروع كرز  
بصورة أخرى بحيث لا يجهل أمله من فضحا ويكشف خبيثتها



من بين هذه الملايين الكثيرة يحبكم ويخلص لكم ؟

هل استطعتم بعد ان سقط ذلك البرقع الكفيف عن وجوهكم  
ويدت للناس صفتكم ان تجدوا ثمانية اشخاص يؤلفون لكم الوزارة  
الى تريدونها لتستعينوا بها على تنفيذ مشروعاتكم ؟

هل تستطيعون ان تزعوا انكم على قمة تامة بخلاص شخص واحد  
من هؤلاء الموظفين الكثيرين الذين قضى عليهم سوء حظهم ان يملوا  
مهمكم ، ويخضعوا لسلطتكم ، حتى الذين غرّبوهم منهم بالنعم ، وملأهم عليهم  
ديارهم رغداً وهناء ؟

هل تستطيعون ان تتناعوا بأموالكم الكثيرة الى واحد لها قلم  
مصرياً صمياً يتولى نشر دعوتكم ، وتأييد سياستكم ، كما يفعلون في كل  
مكان حتى في اوربا وأميركا ؟

إذن اتم ضمنا ، ونحن اقوياء ، ولنا ان نفخر بهذه القوة التي نتمتع  
فيها على شرف اخلاقنا ، وعزة نفوسنا ، ومتانة عقيدتنا ، وشدة إخلاصنا  
لوطننا ، وليس لكم أن تفخروا بتلك القوة التي تتمدون فيها على السيف  
والنار كما كان يفعل «الهن» في أوربا ، «والمثول» في آسيا ، لأنها اقرب  
إلى صفات الوحشية وغرائزها ، منها إلى روح المدنية ومزاجها

نعم انكم اعتقلتم مسعد باشا ، ولكن بعد أن صرع زعماءكم وقادتكم  
في ميدان السياسة ، وأفقد حليكم تلك المؤامرة العقلية التي كنتم تريدون  
بها اعتقال مصر واستعبادها الى الأبد ، فقد صودر مسعد باشا واعتقل ،  
ولكن مصر قد نجت

في استطاعتكم أن تصبوا وجه مصر بالدماء ، وأن تملأوا بطيها بالاشلاء ، ولكن ليس في استطاعتكم أن تتقوا نظرات الاحتقار والازدراء التي تلقيها عليكم حين يراكم ، ولا أن تطفئوا نار الحقد والموجة التي تنبعث من ألسنتنا وصدورها الى وجوهكم ، ولا أن تتلوا منلانا من تلك العقيدة الراسخة في قلوبنا ، وهي أنكم أضعف الضعفاء ، وان كنتم أقوى الاقوياء ، وان هذه القوة التي تعتمدون عليها وتدلون بها ليست قوة السياسة ، ولا قوة الفكر ، ولا قوة الدبير ، وانما هي قوة الشر والنصب اقتلونا ولكن بأيديكم لا بأيدينا ، ألقوا الوزارة ولكن من رجالكم لا من رجالنا ، املكوا علينا كل شيء إلا قلوبنا وأفتدنا ، احكمونا باسم الأحكام العرفية ، والأساليب العسكرية ، لا باسم القوانين الشرعية . والأحكام السموية والأرضية ، افتخروا بأنكم قمعة الحركة المصرية . وأنكم أختم الناس وأرهبنوم ، ولكن لا تفخروا بأنكم حلقة مشكلة مصر وفرغم من قضيتها

إنكم لانحاربونا من أجل احلال البلاد فأنتم محتلوها ، ولا من أجل الاستيلاء على مواردها وأرزاقها فهي جميعها تحت سلطنتك وسيطرتك . ولا من أجل إطفاء الثورة وقمعها ، فلأمة التي لا سلاح لها لا تورد فيها ، ولكنكم تحاربونا من أجل إرغامنا على الاعتراف بمركزكم الشرعى في مصر ، ومادتم لم تصلوا الى هذه الغاية بعد بذلك ، ما وهبك الله من دهاء سيامى وحيلة عقلية في هذا السبيل فمن المنتصرون ، وأنتم المنخنلون

## الى أعدائنا

## ٢

ماذا جنى الرجل عليكم فتنفوه الى أقصى بقعة من بقاع الأرض وما هو بئائر ولا محارب ولا عرف له الناس موقهاً يدعو فيه بدعوة الجاهلية الأولى ، أو ينطق فيه بكلمة المم التي ينطق بها الناثرون في كل شعب وأمة ، ليستنهبوا بها حفاظ النفوس ، ويدفعوا بها الرجال الى مواطن الموت أين هو الجيش الذي قلده لمحاربكم ، وأين هي الجموع التي سلحها وزحف بها عليكم ، وأين هي الثورة التي أشعل نلرها ، أو الفتنة التي أحيأ موائها ، فتعاقبوه هذا العقاب الشديد الذي اعتدتم ان تعاقبوا به زعماء الثورات ، وقواد المؤامرات ، لابل إنكم ما علقتم زعماء أعدائكم الذين رووا الارض بدمائكم ، وغطوا وجهها بأسلاككم ، ونالوا منكم أشد ما ينال محارب من محاربه بمنل هذا العقاب المؤلم الشديد ، وقد كنتم تزعمون ويزعم كثير من الناس لكم أنكم أمة العدل والقانون ، وان الشمس لا تطلع في مدار من مدارتها على محكة مثل محكتكم ، وقضاة مثل قضائكم ، وميزان قسط وانصاف مثل ميزان قسطكم وانصافكم

ان الرجل لم يكن جباناً ولا رعيدياً ، ولا من المفرقين في حبيحياتهم ، أو الضائين بها على مواقف المجد والشرف ، ولو شاء أن يشعل نلر الثورة في كل مكان ، وأن يقود الرجال الى مواطن الموت لفعل ، ولكنه لم يفعل ، ولا فكر في شيء من ذلك ، لأنه من فريق الصلوة ، لا من فريق الثوار ،

ولأنه رجل عاقل حكيم لا يخطو الخطوة الواحدة حتى يقدّر لها موضعها ، وكانت لهجته الدائمة التي لا مفارقة في جميع مواقفه ومشاهدته الدعوة إلى السكون والمهدوء ، والعمل في دائرة القانون والنظام ، والمطالبة بالحقوق الوطنية بالطرق المشروعة السائفة ، أي إنه كان رجل حجة ويرهان ، لارجل نزال بوطمان ، فلماذا لم تعرفوا له هذا الشموخ الطيب الشريف الذي كانت تشتمل عليه سريرة نفسه ، ولم لم تحترموا فيه تلك العاطفة الطاهرة الكريمة التي كانت تنسج من بين جنبهيه شرقاً وغرباً ، وتسيل رحمة وإحساناً إنكم أقروا جهناً ، ما نزعكم في ذلك منازع ، وما هي جيوشكم وأساطيلكم وأسلحتكم ودباباتكم وطياراتكم غلاً البحار واقفار ، والسهول والجبال ، وانهاض النجم ، والشوارع والازقة ، والاجواء والآفاق ، فإذا عليكم لو أنكم تركتم الرجل في مكانه هادئاً مطمئناً ، لا تهيجونه ولا تزعجونه ، حتى إذا أثار عليكم الثائرة التي تخشونها لجأتم إلى قوتكم قمعتموها كما فعلون اليوم ، وقد قامت لكم الحجة عليه ، واعتصمت في أمره باليقين الذي تعلّم اليه نفوسكم ، وتقطع به حجة المؤاخذين لكم ، والناقين عليكم ، وإن كانت الأخرى كفيتم أنفسكم وكفيتموها معكم هذا الشر المستطير ينشأ وينكم ، وحقنتم تلك الدماء التي سالت في بطاح الأرض بلا جبرية ولا سبب

تؤكد لكم يا قوم أن الأمة المصرية لم تكن آلة في يد ساعد بشا يعصرها كيف يشاء كما وعدهم ، أو كما أوهمكم ذلك الضعفاء منا . وان روح الوطنية المنتشرة فيها ليست روحاً صناعية كاذبة يحجبها وجوده ، ويميتها نفية ، وإن نفية إلى أقصى بقعة من بقاع الأرض ، بل الذهب به إلى مصير أعظم ويلا

وهو لا من هذا المصير ، لا يحل عقدة واحدة من عقد المسألة المصرية ، ولا يغير وجهها واحداً من وجوها ، ولا ينتقل بها خطوة من مكانها ، أى إنه لا تسمح للمستوزرين بتأليف الوزلة التى يريدونها ، ولا يراحتهم وهدوئهم فيها إن هم ألفوها ، ولا يفسح لأولئك القوم الذين تسمونهم المعتدلين ، ولسميهم بالمساكين ، مجالاً أوسع من المجال الذى يضطربون فيه ، ولا يفتح فى جدار الوطنية ثغرة صغيرة تتمكن مكيدة المشروع الكرزفى أو اللاترى من الانحدار منها ، وانكم لم تستفيدوا من كل ما علمتم شيئاً سوى انكم ظلمتم الرجل ويؤثم بآثمه ، لا أكثر من ذلك ولا أقل

ماذا جرى سعد باشا عليكم سوى أنه كان يطالبكم بحقه وحق بلاده بلحجة والبرهان ، ولا يوجد فى تاريخ من تواريخ الأمم القديمة أو الحديثة قانون متمدين أو متوحش يعتبر هذا العمل جريمة يعاقب عليها صاحبها بإزله من مأمنه ، وإقصائه عن أرضه ، ووضع ذلك السد النيع بينه وبين جبال الحياة ورواقها ؟

لِمَ ننتزعونه من سرير نومه قبل أن تنبث الطير من وكنائها ، وتطيرون به الى ذلك المنفى القصى البعيد الذى لا يعلم إلا الله ما يكون مصيره فيه ، وما هو بقاتل ، ولا سارق ، ولا مختلس ، ولا داع الى ضلالة ، ولا قائم بفتنة ، ولا طالب شيئاً سوى ان يعيش هو وقومه أحراراً كما تعيش الطيور فى أجوائها ، والسوائم فى مراتعها ، والاسماك فى دأملها ؟

لم ترحوا شيخوخته ومرضه ، وأنه رجل أعزل ضعيف لا يملك من القوى غير لسانه الذى ينود به عن وطنه وقومه ، ومتى كانت الألسنة والاقلام جيوشاً وجحافل تنازها للجيش والجحافل ؟

لم نحتاجوه وتمنوه بحكم الذى تزعموه لانفسكم بدلا من أن تقولوا  
له « إيا الصمت وإيا الموت »

ما أغرب شأكم أيها القوم، وما أعجب تصوراتكم ! أفباين يومولية  
تقبلون معنا من أصدقاء أوفياء تجالسونا على منضدة واحدة لتفاوضنا  
على قاصمة الحرية والمساواة ، والود والاخاء ، الى أعداء حاقدين واجدين ،  
تسفكون دماءنا ، وتمزقون أشلاءنا ، وتشردون زعماءنا تحت كل نهم  
وكوكب ، وموقفنا موقفتنا ، لم يتغير ولم يتبدل ، سوى اننا وقتنا لحظة أمام  
المشروع الذى قسّموه الينا نعم النظر فيه ، هل هو استقلال حقيق كما  
تقولون ، أم شيء غير ذلك نسوّه استقلالاً

قسم لكم قد جئتمونا نرتاب فيكم ، وفي كل ما تطلع عليكم  
شمسكم ، ونفى عليه ظلالكم ، وفي الريح الى تهب من أرضكم ، والماء الذى  
ينحدر من بحركم ، بل وفي العلم الذى تشتمل عليه مدارسكم ، والحدود التى  
تدور عليه مدينتكم ، وقد مرت بنا أيام كنا لاشئ على الله فيها سوى  
أن نصل فى المدينة الى النروة الى وصلتم اليها ، قد أصبحنا ولا أبض  
الينا من التشبه بكم ، والتخلق بأخلاقكم ، والسير على آثاركم - غداً أن  
تصبح مدينتنا فى مستقبل أيامها مدينة وحشية لاعهد فيها ولا ذمام

سنأكل الشيع والقيصوم ان هز الطعام الا من أيديكم ، ونلبس  
الجلود والفراء ان أقرت الارض الا من مصاسكم ، ونشرب الملح الأجاج  
ان أبى العذب الزلال ان ينبج الا فى آفاقكم ، ونعيش فى الظلمة الداجية ان  
أبت الشمس أن تشرق الا من آفاقكم ، وسنخلع عن أرضنا ثوب النصوصية  
والجمال ، ونلبسها ثوب القمط والجندب ، لنقطع السبيل على مطالبكم ، ونكدر

عليكم صفاء العيش بين ظلالها وأموائها ، غير شاكين ولا متبرمين ، فلا  
خير في نعمة يكدرها الذل ، وبعداً لماء لا يشر به شاربهُ إلا مزوجاً بهم .  
إن في السماء إلهاً ، وإن في الأرض عدلاً ، وإن العناية الإلهية التي  
تضم تحت أجنحتها ضعف الضعيف ، ويؤس البائس ومظلمة المظلوم ، أرحم  
من ألا تحفل بهذه السموع التي تنرفقها الأمة حزناً على شيخها الشهيد المظلوم  
رويدك حتى تنظري عمّ تنجلي غمامة هذا العارض المتألي

## إلى سعد باشا\*

في منفاه

في الساعة التي نزلت فيها إلى قاع السفينة « نوراليا » لتفارق هذا  
العالم كله إلى جزائر « سيشيل » صعد خصومك المستوزدون إلى كراسي  
مناصبهم فرحين متهللين يهتف بعضهم بعضاً ، ويسم بعضهم إلى بعض ،  
ولا أعلم هل تلك الحجرة الخفيفة التي جالت في وجوههم في تلك الساعة  
كانت خالصة كلها للسرور والنبهة ، أم كان يمازجها شيء للخجل والحياء ،  
ولعلها كانت الثانية ، فاني من لا يعتقد أن الضمير الإنساني إذا جدينته  
به جموده إلى الموت

أنت مسجين وهم مطلقون ، أنت معذب وهم ناعمون ، أنت مستوحش  
منفرد في قفرة جرداء لا أبيض لك فيها ولا سمير إلا بضعة أفراد مثلك

\* كتبت على أثر سفر سعد باشا من عدن إلى سيشل تمهيداً لتأليف الوزارة  
التزوية وتنفيذ تصريح ٢٨ فبراير

مستوحشين منفردين ، وهم مؤتسسون بالعيش في قصورهم وبساكنهم ،  
وبملعبهم ومسارحهم ، بين نسائهم وأولادهم ، وصحبهم وخللائهم ، أنت  
مكتئب حزين يتقاسم قلبك هان ، هم نفسك ، وهم قومك ، وهم فرحون  
متهللون يطفرون ويمرحون ، ويطيرون بأجنحة سرورهم وحبورهم في كل  
جو وأفق ، لا يخالط نفوسهم هم واحد

ولكن هل أنت على ذلك شقي ؟ وهل هم على ذلك سعاداء ؟  
لا ، قد كانت لهم أمنية أن تنسب عنهم فيغيب عنهم اسمك وذكرك ،  
وضوضاؤك وجلبنتك ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، فالتفوس قائمة ،  
والقلوب واجدة ، والحنان يمسك يلاً الآفاق والاحواء ، والنعاء يشارك  
يلاحتهم في كل مكان يسرون فيه ، وعيون الحقد والبنضاء تضرب بحولهم  
نطاقاً نارياً لاسبيل لهم إلى الثغلت منه ، ولنفروج من دائرته ، قالت الحر  
الطليق ، وهم الأسراء المسجونون ، ولكنهم يتجلدون ويصابرون

أنت تعيش من فضيلتك وشرفك ، ومن رضاك عن نفسك ، واغتنباطك  
بإداء واجبك ، ومن راحة ضميرك واستقراره ، وهدوء نفسك وسكونها .  
في أرحب من رقعة الأرض ، وأفسح من ديباجة السماء ، وهم يعيشون من  
وخزات ضائهم ، وقلق نفوسهم ، ووساوس صدورهم ، وخوفهم على تلك  
اللقيمات المفلووظات التي هي كل ما ظفروا به من حياتهم أن تهيب عليها  
عاصفة من العواصف فتطير بها وتطير بهم معها ، ومن شبحك الهائل الخيف  
التي لا يفارق مضاجعهم ، ولا يرح يقطعتهم ومنامهم ، ولا يزال يتمثل  
لهم في طعامهم الذين يطعمون ، وشرابهم الذي يشربون ، وفي جميع ما تمتد



اليه عيونهم ، وتتصل به اسماعهم ، في أضيّق من كفة الحابل ، وأضنك من  
عيش السجين

لا سجن في الدنيا غير سجن النفس ، ولا حرية فيها غير حريتها ،  
وليست سعادة المرء بمقدار ما يحيط بجسده من الفضاء ، بل بمقدار  
ما يحيط بنفسه منه

فما سجنك الذي تعيش في جوه الموحش المكتئب ، وبين جدران  
المتقاربة المتدانية ، بمانعك من أن تطير بنفسك العالية الخفاقة في ما نشاء  
من الآفاق والأجواء ، وأن تتمتع برؤية هياكل مجدك وعظمتك المقامة  
لك على ضفاف النيل من طيبة الى الاسكندرية ، وأن تسمع دقات القلوب  
الخفاقة بجبك ، وأحاديث النفوس الخافتة بكرك

وما فضاؤهم الرحب الفسيح الذي يحيط بهم بمجدي عليهم شيئاً إذا  
حاولوا الحركة والاضطراب فيه ، لأنهم يعلمون أنهم يعيشون في أمة قد  
وتروها وآسفوها ، وغرسوا الحقد والبغضاء في صدورها ، فهم على قوتهم  
وبأسهم ، وعلى ضعفها وتجردها من كل سلاح وعدة ، يخشونها ويخافونها ،  
ولا يطيقون أن يحتملوا نظراتها النارية الى تلفح وجوههم ، ولا صرخاتها  
العموية التي تدوى في آذانهم ، فهم دائماً قارون مطاردون كلهم بمض  
المجرمين ، لا عمل لهم في حياتهم سوى أن يسألوا أنفسهم أين يعيشون  
وكيف يعيشون ؟

انهم لم يربنوا مطاردة جسمك ، بل نفسك ، ونفسك باقية في مكانها  
لم ترحه ، ولم يعتقلوك من أجلك ، بل من أجل القضاء على الروح الوطنية

من بسلك ، والروح الوطنية ثمية زاهرة تضرب أعراقها في أعماق القلوب ،  
وتنهو ذوابها في آفاق السماء ، ولم ينقوا منك حياتك ولا وجودك ، بل  
وقوفك في وجه متعهم بمناصبهم التي هي كيان حياتهم ، وقوام أمرهم ، والتي  
لا سبيل لهم إلى العيش إلا في ظلها ، ولا الحياة إلا في دائرتها ، ومناصبهم  
منقصة مهددة هي هامة اليوم أو غد

فهم لم يفتقروا إلا وجهك ، ولم ينالوا إلا من جسدك ، ولم يحصلوا في أيديهم  
من كل ما عملوا إلا على إثم الجريمة وعلاها

آه ياسيدي لو تيسر لك أن تراهم رأيت قوماً معذنين متألين . حائرين  
ذاهلين ، لا يهناون في نوم ولا يقظة ، ولا يهدون في سكون ولا حركة ،  
قد ضاقت بهم الحيل ، وتشعبت بهم السبل ، واقتشرت عليهم الأراء  
والأفكار ، لا يملون ماذا يأخذون وماذا يتركون ، ولا عمل لهم في حياتهم  
سوى أن يسألوا أنفسهم ليلهم ونهارهم ألا يستطيع هؤلاء الناس أن يرضوا  
منهم بدون عودتك ، وعودتك موتهم الآخر . وشقاؤهم الأكبر

ينثرون الذهب على الناس ثراً ليتألفوهم ويستندوهم ، فيلقطوهم  
وهم يلعنونهم ، لأنه ما لهم قد سلبوه منهم ثم نروهم عليهم

يوزعون الرتب والنياشين على الخاملين والمغمورين ليكونوا أعوانهم  
وأنصارهم ، فيمنحونهم من ألسنتهم ووجوههم ، مالا يمنحونهم من قلوبهم  
وأفئدتهم ، لأن الحب لا يشتري بالأسماء واللقاب

يخلعون الوظائف الكبرى والمناصب الخطيرة على صغار الموظفين  
وأحداثهم ليخطبوا ويهروا عقولهم ، فلا يصنعون لهم شيئاً سوى أن

يجامولهم في مجالسهم بعض ما يحبون ، فلذا خرجوا من عندهم خرجوا  
هائزين بهم ساخرين

يتناعون أقلام قراء الكتاب ويؤسائهم ليكتبوا لهم ما يحط من  
شأنك ويرفع من شأنهم ، فيفعلون كل حين متبرمين ، لأن القلم لا يجد لذة  
المراح والجولان إلا في ميدان الصدق والاعتقاد

يصيحون في الناس بلهجة للخبثاء الماكرين أبشروا أيها الناس قد  
جنناكم بالاستقلال الذي هو خير لكم من سعد ، فيجيبونهم بهدوء وسكون  
لو كان صحيحاً ما قولون لكان سعد أول من يتمتع به لأنه صاحبه  
يحلفون لهم بالله جهد أيمانهم أنهم لا يريدون بهم إلا خيراً ، ولا يضربون  
لهم إلا ما يحبون ، فيقولون لهم ولماذا اذن نفيت سعد ؟

يحاولون بكل ما يعرفون من الوسائل أن يفصلوا بين قضيتك وقضية  
مصر فكأنما يحاولون الفصل بين الشمس وشعاعها ، والنار وحرارتها ،  
والمقدمة ونتيجتها

يصخبون أخيراً ويحتدمون ويقولون إن التثبت بمودة سعد مسألة  
شخصية ، فتتجاوب الأصداة من كل ناحية هبوا أن الأمر كما قولون ،  
وهل تشبكم بمناصبكم ، وعضكم عليها بالنواجذ ، ومخاطر تكم بكل شيء  
في سبيلها ، مسألة غير شخصية ؟

قالت يمولاي قدي أعينهم ، وغصة حياتهم ، وشغل قلوبهم وأقدتهم ،  
والحجة القائمة عليهم ، أحسنوا أم أساموا ، أعطوا أم منعوا ، نعموا أم أضروا ،  
ولقد تمدنهم نفوسهم أحياناً بالتخلي عن تلك المناصب الشقية وتوديعها  
إلى الأبدسامة وضجرا ، وضيقاً وحسراً ، ولكن يحول بينهم وبين ذلك

عليهم أن الأوان قد قُلت ، وأن الأمة لا تقدر لهم ذنوبهم ، ولا تقبل لهم عثراتهم ، وأنهم لا يستطيعون أن يجدوا في فضاء الأرض ذات الطول والمرض ظل حصاة يلجأون إليه من قمة الأمة وغضبها ، فلا يجدون لهم بدمان أن يستمروا قابعين وراء تلك الأكمة التي تحجبهم وتنفود عنهم ، وربما كانوا يكونون وراءها دما

فشلهم كمثل الفارّة من بيت أبيها إلى بيت خيلها ، يلحقها الندم ، والضيق بها سلاحه الميش . فتودّ لو رجعت إلى بيتها الأول . ولكنها لا تستطيع وكأنهم يسادتهم وحلتهم وقد ملوهم وشموهم ، وضجروا بمكائهم . لأنهم ممانحوهم هذه المناصب جاً وإثراء ، أو منة وفضلاً ، بل ليجدوا لهم السبيل إلى ذلك الاتحاق الذي يريدونه ، ويقوموا لهم بوظيفة تحويل شعور الأمة إلى سياستهم ، واقتيادها إلى حظيرتهم ، من طريق الحيلة والكيد ، لامن طريق القوة والنف . وقد عجزوا عن ذلك . فلم يبق لهم سبيل إلى البقاء

وكذلك ينقم الله لك منهم يهولاي انتقاماً تهتز له أقطار الأرض ، وتضطرب له أكناف السماء . وكذلك يسجل لهم التاريخ في صفحته من العار والشار ما سجل لأمثالهم من الخارجين المارقين مولاي !

لا الشمس الطالعة من مشرقها صفراء كالذهب تأسر الأضواء في الآفاق ، وتعاث بأشعتها اللامعة المتلألئة ذوائب الأسجار ، وقمم الجبال ورؤوس المضارب ، وتبعث الأزهار من أكلها . والطيور من أكلها ولا البدر السائر في سماءه بعظمته وجلاله بين حاشية من كواكبه

وفهموه ، يمسح بليقته الفضية جبين السماء ، ويمزق حجب الظلام عن وجه الغبراء .

ولا الربيع للقبيل في حلل زهوره ورياحينه ، ومطارف خدراته وجدادوله ، يوشى بساط الارض بأبداع الالوان وأبهاسها ، ويملاً الفضاء الرحب بأطيب الروائح وأعقبها

ولا الطيور الصادرة في أفنانها توقع نغماتها على خرير الماء ، وترجم في توقيعها عن شجو النفوس وحنينها ، وخفقان القلوب وأينها  
ولا أحلام الحياة الديدة المنبعثة في النفوس أبعاث الراح في الاجسام ،  
تحي موتها ، وتثير نشوتها ، وتهز أعطافها ، وتذيقها حلاوة المني ، ولذة الأمل

ولا الدنيا وجالها ، والارض وبهجتها ، والسماء وزينتها ، والبحار وروعها ، والمروج ومضرتها ، والازهار ونضرتها ، بقادرة على أنفسينا أطمك النر البواسم التي كانت غرر الدهر وحجوله ، وزينة الدنيا وبهجتها ،  
ولا بمستطاعة أن تنزع من قلوبنا مرارة الحسرة على فراقك ، والهدف الى لقاءك . ففى يجمع الله بيننا وبينك !

لا أوحشت دارك من شمسها ولا خلا غائبك من أسده

## في أي سبيل هذا \*

أفي سبيل تلك الكلمة التافهة السخيفة كلمة « الاستقلال » التي زعمتموها  
والتي لاسماوى ثمن قطرة المداد التي كتبت بها ، يقضى سعد بلشازعيم الامة  
ورئيس نهضتها ونفر تاريخها الحاضر أيلمه في ذلك المتن البعيد الموحش  
عليلًا معنبا لا يجيد بجوابه إنسانا ولحدا يعلله ويعطف عليه

أفي هذه السبيل تمتلئ زوجة الشيخة المريضة متن المحيط سبعة أيام  
تحت رحمة القضاء ، وبين شقي مقص الفناء ، حتى تصل اليه في معتزله لعلها  
تستطيع افقاده

أفي سبيل أ كذوبة باردة لا يصدقها طفل ولا ينخدع بها أب له يضحى  
بهذا الرجل العظيم هو وجميع أنصاره ورجاله ما بين منفي مهجور ، وسجين  
مقبور ، وواقف على حافة الهوة يوشك أن يتردى فيها :

أفي سبيل متعة طامعة من الكسالى الملبزين لا يتجاوزون المائة عدا  
بعض مشتبهات كالية لا يقتلهم ففدها ، ولا يحجبهم وجودها ، تلبس أمة  
كاملة ثوب الحداد التأم على رجلها المبعدين ، وزعمائها المنفيين . وشبانها  
المعتقلين ، وأفلاد أكبادها المقبورين ، ففي كل دار رنة وزفير . وفي  
كل ساحة مناحة وأنم :

أنملن فيم تدرفن دموعكن أيتها الامهات الشكلى : وفيم تصعدن  
زفرا تكن أيتها الزوجات البائسات ؟ وفيم تختلفن صباحكن ومساءكن إلى

« كنتت على أثر سفرا حابة العصة السيدة العاضة حرم سعد بإشإ إليه وجيل طارو  
لنشركه في آلامه التي كان يقاسيها هناك

أبواب السجون مرة وأقنية القبور أخرى أيتها الارامل والايالي ؟  
 !لكن تغفلن ذلك كله في سبيل موظف يشتري درجة أعلى من  
 درجته، وآخر يطلب داراً أوسع من داره، وآخر يريد طعاماً أدهم من طعامه،  
 ووجيه يخشى أن يفقد لمة الباشا إلى اعتاد أن يراها في وجه الوزير ،  
 وحين يخاف أن يخسر الجلسة التي يتمتع بها في حضرة المدير

أولئك هم المستدلون الذين لم يستدلوا في شيء الا في سياستهم، ولكنهم  
 منطربون في كل شيء من مطاعمهم وشهوات نفوسهم

في سبيل هؤلاء الشرهين النهمين يتألم شعب بأكله ، ويقامى  
 من صنوف العذاب وأنواع الآلام مالا يطيقه بشر ، فما أغلى ما بذلنا ،  
 وما أرخص ما أخذنا

ما كانت حياة الامة متوقفة في يوم من أيامها على أن يستع هؤلاء  
 الكالى البلباء بما يتمتعون به، بل ما كانت متوقفة على وجودهم في قيد  
 الحياة ، ولكنها في أشد الحاجة إلى بقاء زعمائها وأبطالها بين ظهرانيها،  
 بلون قشتم ، ويجمعون شملها، ويجاهدون في سبيلها، ويحيون الآمال في نفسها،  
 ويشاركونها في نعمتها وبأسائها، ويهزون عليها همومها وآلامها، ويحتضنونها  
 الى صدورهم الطيبة الرحيمة في ساعات شدةها ولأوائها، سنشعر برودة الراحة  
 وسكون العزاء

وصفت انجلترا مصر بأنها مستقلة !!!

هذا كل ما يقولون ، وهذا ما يريدون أن يمزونا به عن قتلنا  
 وجرحنا، وسجنائنا ومستقلينا ، وجميع ما بذلنا من دموع ، وكابدنا من آلام،  
 نيفا وأربعين عاما

يخرج لهذا الوصف الجليل البديع ١١١

من كنا أيها الصغار النفوس والضعاف الزنائب والمهم في شوق إلى  
الأوصاف والنعمت ، والاسماء والاقاب ، ومتى نخلقنا بأخلاق النساء  
فنبتهج بكلمات الغزل والسيب وجعل المدح والثناء ؟ ومتى نحن الانجليز  
علينا بهذه الكلمة في عهد من عهدهم الماضية والحاضرة ، أوضناها على  
شعب من الشعوب التي يستعمرونها ، ويملكون عليها أغناسها ، فنعدها  
كلمة جديدة لم نسمع بها من قبل ؟ وهل كان موضوع النزاع بيننا وبينهم  
حروفا وكلمات ، فينتهي أمره بحروف وكلمات ؟ وهل بلغت بنا ضمة التنفس  
وهوانها ، وانحطاطها وإسقاطها ، أن ننزل عن طلب الاستقلال إلى الرضا  
بكلمة هي أشبه الأشياء بكلمة ( الفندق ) التي أمر أحد الملوك الظلمة  
بكتابتها على باب سجنه أرضاء لخاطر المسجونين أو سخرية منهم :

إننا لا يكفيننا أن يعترف الانجليز باستقلالنا ، بل لا نطلب اليهم أن  
يعترفوا لنا به ، لاننا لا نريد أن يكون مبنيًا على اعترافهم . ولا نحب أن  
نعطيهم الحق في سلبه واعطائه . وانما نطلب اليهم أن يفارقوا أرضنا ساكنين  
صامتين لا يقولون لنا خيرا ولا شرا ، فان فعلوا فذاك . والا فوقفنا معهم  
وقفنا منذ نزلوا بأرضنا حتى اليوم

أما الاكثوية الكبرى التي لم ينطق بمنحها ما تلق منذ خلق الله اسم  
الكذب حتى اليوم فهي قولكم اننا أخذنا منهم ولم نعطيهم . وهل أعطى  
أحد في العالم مثل ما أعطينا في مثل ما أخذنا ؟

ألم نعطيهم راحة فوسهم من اقلق والخوف على مستقبلهم في مصر .  
وراحة أسماهم من ضوضاء المطالبة بالحقوق وجلبتها ، وراحة أمزجتهم من



تكديرها بروية أشباح الساخطين والتافين !

ألم نعظم أن الإدارة المصرية قد عادت لهم الى ما كانت عليه في عهدنا الاول، وأصبحت خاضعة لأمرهم في كل ما يريدون ويقترحون ، ولا نعلم ماذا تقدم لهم غداً فوق ذلك ؟ .

ألم نجعل لهم بين فوائد السلطة ونعماتها وبراءة أيديهم من بغياتها وآثامها، فهم يقضون في كل شيء من حيث لا يتعلق عليهم منه شيء ؟

ألم نعظم ألا يشرك متحرك ولا يسكن ساكن في دائرة من الدوائر السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ولا يوضع قانون ، ولا مادة في قانون ، ولا يثاب مثاب ، ولا يعاقب معاقب ، ولا يصادق صديق ، ولا يعادى عدو ، الا في سبيلهم ، وتنفيذاً لأمرهم ، ونزولاً على حكمهم ، وكأنيهم ما أرادوا شيئاً ، ولا اقترحوا أمراً ؟

ألم نسلم اليهم زعماءنا وعظماؤنا الذين كانوا يهددون مركزهم في مصر ، أو ينفصون عليهم حياتهم فيها على الأقل ، ينفون منهم من أرادوا ، ويسجنون من شاموا ، غير حافلين ولا مكترئين ، لا يزعمهم مزعج ، ولا يقلقهم مطالب

ألم نعظم تمزيق شملنا ، وتمزيق كلمتنا ، واقسامنا على أنفسنا ، وقد د كثير من أخلاقنا القومية في كثير من بيئاتنا العليا والدنيا ، ونزول بعض أشرافنا المحترمين الى درك الجاسوسية الدينية بعد أن كانت في ظلم المار الدائم الذي لا يحويه حتى الموت ؟

هذا ما أعطينا ، أما ما أخذنا فهي تلك الحروف السبعة التي لا قدموها

الينا مكتوبة بأسلاك الذهب ، وعجلة بأحجار الياقوت والماس ، لا ساوت  
قطرة دم واحدة من ذلك البحر الزاخر من النماء التي قد منا  
و هل كانوا يطلبون عندنا أكثر من ذلك ؛ أو يترحون على دهرهم أمنية  
فوق هذه الأمانة ؛ أو كانوا يضمنون يندل مستعمرة كاملة من مستعمراتهم  
للوصول إلى هذه الغاية التي وصلوا إليها ؟

أنتم وحدكم أيها المعتدلون المستولون عن هذه الصفقة الخاسرة ، فما  
رزئنا بما رزئنا به إلا من طريقكم ، وما ذهب ما ذهب منا إلا في سبيل مطاعكم  
وشهواتكم

ردوا علينا أولادنا وإخوتنا وآباءنا وقللنا أ كبادنا من ضمتهم منهم  
القبور ، ومن اشتملت عليه منهم السجون ، قائم لم يضحوا بأنفسهم حين  
ضحوا بها في سبيلكم ، وسبيل ما ربكم وشهواتكم ، بل في سبيل أمتهم ووطنهم  
ردوا علينا زعماءنا وأبطالنا ، وقادتنا وعظماءنا ، فأننا لا بيعهم بغير  
ثمن ، ولا نقبل أن نلبس ثوب العار الدائم بتركهم في أيديكم

ردوا علينا دموعنا وآلامنا ، وقلق مضاجعنا ، وتسديد أجفاننا . وجميع  
بجهودنا التي بذلناها أموالا طوالا حتى نزل بنا شؤمكم فأضاعها علينا .  
فكاننا لم نعرف دمة واحدة ، ولم ندفن قتيلًا واحدًا

أعيدوا الينا وحدتنا وجامعتنا . وتلك الأيام الخطوة الجميلة التي كنا  
نجتمع فيها كلنا في ميدان واحد ، تحت سماء واحدة ، نشترك في نغم الحياة  
وبؤسها ، وتتقاسم سرورها وضراها ، ويمجد كل منا في حجر صاحبه المهاد  
اللين الرثير الذي يضع رأسه عليه حين يدركه التعب ، وينال منه النصب  
أعيدوا الينا سمعتنا وكرامتنا ، وذلك الصيت الحسن الجميل الذي كان

برن في آفاق الارض رلين التفتت الموسيقية في أجواز الفضاء فيعود الينا  
صداء حاملا البهجة لارواحنا ، والسرور لافئدتنا ، والعزاء الجميل عن  
مصايينا وآلامنا



لا . لا . لا تعيدوا الينا شيئا ، فانا لم نقصد شيئا  
مالنا ولكم ولمقودكم واثماقتكم ، ودساتيركم ومجالسكم ، ولما تأثرون  
به في خلواتكم وجلواتكم ، فلنا شأننا ، ولكم شأنكم  
الأمة هي الأمة لا يعنيا من ينفصل عنها أو يخرج عليها ، ولا يفت  
في عضدها أن مائة من أفرادها قد انتقلوا الى الصفوف المحاربة لها ، فهي  
بقوة عزيمتها وجلد نفوسها ، وصبرها واحتمالها ، وامتداد حبل آمالها وأمانها ،  
ودرسوخ ايمانها في أعماق قلبها ، قادرة على أن تستقبل أعظم قوة في العالم ،  
وتثبت في وجه كل عاصفة تهب عليها كيفما كان شأنها ، فما انتصر المنتصرون  
يوما بقوة سلاحهم وعدتهم ، بل بقوة يقينهم وايمانهم ، وما أغنى السلاح يوما  
عن أصحابه شيئا اذا كانت النفوس خائرة متضمضة ، ولا ضرها قداده  
فتيلا اذا كانت النفوس في حصن حصين من قوة عزيمتها وثبات عقيدتها  
سيهدم عما قليل كل ما بينهم ، لان الأمة لم تشترك في بنائهم ، وسينتقض  
كل ما أبرمتم ، لان الأمة لا تريد ابراءه ، وسيعود كل غائب الى داره ،  
لان الأمة لا تتخلى عن أبنائها ، وما كتبت التاريخ في صفحاته قط أن أمة  
من الأمم أرادت أمرا ، وأجعت رأيها عليه ، فاستطاعت يد غير يد الله  
أن تحول بينها وبين ما تريد

## ثم ماذا ؟

لأنتم قادرون على أن تنالوا ثقة الناس، ولا الناس بقادرين على أن يمنحوكم قلوبهم، وقد أعظم الفضاء بينكم وبينهم حتى ما تستطيع الشمس الباطلة أن تمحو طبقة واحدة من طبقاته، فما يقولكم بعد ذلك ؟

إنكم لم تقولوا للناس حين جلستم على هذه المقاعد إنكم تجلسون عليها مستبدين مستأثرين، لا تكثر ثون لأمة ولا شعب، ولا تحفلون بسخط ولا رضا، بل قلم لهم انكم تنزلون على إرادتهم، وتحكمون باسمهم، ولا تقطعون أمراً من دونهم، أي انكم وكلاؤهم وعماهم، يقولون ما أرادوا بقاءكم، وتصرفون حين يريدون النصرفكم، وها أنتم أولاء ترون أنهم قد ملوا بقاءكم، فوسسوا العيش معكم، فلم لا تتركونهم وشأنهم يتنفسون العمداء في جو غير جوكم، ويطلبون لأنفسهم الحياة الطيبة في جو لا غير جوكم ؟

لم تخرجونهم وتضيقون صدورهم وأنتم تعلمون أن النفس الانسانية ان استطاعت أن تحتل كل شيء قائما لا تستطيع أن تحتل ما يثير قلقها وومواسها على وطنها ومستقبلها

فكان الذين يهيجونها ويستثيرونها في هذا الشأن انما يريدون شقاءها وبلاءها، وما أحسبكم ترضون لأنفسكم بذلك

دعهم وشأنهم عسى الله أن يخرج عنهم كربهم، ويكشف غمهم، فربما كان مدخراً لهم في ضمير الغيب خير كثير لا يصل اليهم الا من

• كتبت عند ما بلغت الشدة بالامة منتهاها في أواخر عهد الوردية

طريق غير طريقكم ، فارجعوا من أنفسكم ، واتخذوها يداً عند الله تخرجون عليها في دياركم وآخرتكم

ليت الذين يحيطون بكم من أصدقائكم وأشياكم يسمعون لانفسهم بأن يصدقكم الحديث عن حالة الامة اليوم ، ويصوروا لكم حقيقة شعورها واحساسها تصويراً صحيحاً ، لتعلموا أن نفسها تشتمل على هم لم تشتمل على مثله في عهد من عهودها للماضية ، وأن بيتاً من البيوت ، أو قصرأ من القصور ، لا يمكن أن يخلو من عين دامة ، أو نفس واجحة ، أو فؤاد مغرب ، أو قلب مقروح ، وأن الكتابة القائمة قد لبست جميع الوجوه كأنما قد قلم بين الناس منذر ينذرهم بالرجعة الكبرى ، والتنازلة العظمى ، وأنهم جميعاً يضلون بالدعاء إلى الله تعالى أن يكشف عنهم نزلهم ، ويفرج كربهم فسواء أكلوا مصيبين في اعتقادهم أم غخطين ، فلننظر منظر مؤلم يستلين القلوب القاسية ، ويستندرف الدموع الجلادة

الحقيقة أن الامة تخافكم على نفسها وعلى مستقبلها أشد الخوف ، ويخيل اليها أن كواكب النخس قد ملأت في عهدكم أرجاء السماء فما يلوح بينها كوكب سعد واحد ، وربما كانت مبالغة في ظننا ، أو مغالية في رأيها ، ولكن ما العمل وهذا رأيها الذي تراه ، ولا سبيل لها أن ترى رأياً سواه ، ألا ترون أنها وقد بلغ بها الامر هذا اللبلغ قد أصبحت جذيرة بعطفكم ورحمتكم ، وأن تضحيتمكم ببضعة مناصب في حبيب راحتها وهدوئها ليست بالشئ الكثير ، ولا لتطلب الكبير ؟

إنها عجزت عن أن تصدق انكم أصدقوها وأولياؤها وأعوانها على أمرها الذي تطلبه ، بمدارات انكم أصدقاء عدوها وأولياؤه ، وأن السياسة

الى تجرى على أيديكم منذ جئتم على هذه المقاعد انما هي تنفيذ دقيق لسياسته الى وضعا ، وتعهد متين تلك الضربة القاضية التي يسميها انفاقا أو محالفة ، وأنه يحوطكم بنياته ورعايته ويؤود عنكم ذوده عن قلاعه وحصوره ، وأنه ينقذ ويسجن ويشرد كل من أردتم فيه أو سجنه أو تشريده من زعماء الامة وعظماؤها ، فهي نخشى أن تنتهي تلك المصلحة التي بينكم وبينه الى خرابها ودمارها ، وما دتم قد عجزتم عن أن تدلوا اليها بمنركم في ذلك ، وتوضحوا لها سر هذا الموقف الذي تقفونه ، فأقولوا أنفسكم من العمل لها لتعود لها سكنتها وراحتها

هبوكم نعمة من نعم الله عليها ، وهبوها عجزة عن أن تخطو خطوة واحدة في سبيل حريتها واستقلالها الا اذا كنتم زعماءها وقادتها ، وهبوا السماء لا تمطرها الا اذا استسقتها بوجوهكم ، والارض لا تنبت لها الا اذا وثلثتها أقدامكم ، ولكن ماذا تصنعون وهي لا تنق بكم . ولا تأمن لكم ، ولا ترضى ان تسير معكم في الوجهة التي تسرون فيها ، أنسيرون وحدكم ؟ أم تسيرونها على الرغم منها ؟ كلا الرأيين عبث لا فائدة فيه ولا نتيجة له الاوقوف القضية المصرية في مكانها لا تخطو الى الامام خطوة واحدة ، وليس من الرأي ولا من المصلحة في شيء ان يتشبث القائد بمركزه ، والجيش متردد عليه ، لا يعطيه ولا ينزع له ، والدعو على كئيب منه يلتمس غفرته في كل لحظة ليقنعها ، وان تكون كلمته الوحيدة التي لا ينطق بكلمة سواها « اتي أعمل بضميري »

ولا أحسبكم تقولون إن الامة هي تلك الفئة التي تضمها جدران

جريدة السياسة لانكم تطرون لها تلجأ اليكم دائماً لحمايتها من الامة ، فلا يمكن أن تكون هي الامة نفسها

قد انتقلت المسألة الآن وتغير وجهها تغيراً تاماً ، وأصبح البحث في كفاءتكم وعدم كفاءتكم ، وإخلاصكم وعدم إخلاصكم ، وصحة رأيكم وفساده ، وصواب برنامجكم وخطئه ، عبئاً لا قيمة له ، انما البحث في شيء واحد ، هل الامة حزبكم الذى تعتمدون عليه في بقائكم في مراكزكم وفي تنفيذ سياستكم التى تجبرون عليها ؟

تلك هي المسألة ، والجواب عن ذلك : لا

اذن فاسمحوا لنا أن نقول لكم أن الامة أضن بوقتها من أن تنفقه في منازعتكم ومجادبتكم فأرمحوها من الاشتغال بأمثال هذه التوافه ودعوها تستغل بقضيتها الكبرى فى أولى أن توجه اليها جهودها ، وان تنفق فيها أوقاتها انها في حاجة الى توحيد كلمتها ، وإلمشمتها ، وتنظيم سياستها ، ووضع دستورها ، وتكوين هيئتها النيابية ، وإصلاح شؤونها المالية والإدارية والطبية ، ورفع منارة عالية للعدالة والحرية تشرق على الأمة جميعها من أدناها الى أقصاها ، فيستوى في الاستنارة بها الغنى والفقر ، والاقوى والضعيف ، وصاحب القصر وصاحب الكوخ ، والوزير الجالس في كرسى وزارته ، والفلاح النائم في ظل سرحته ، ومن يمت الى القوة للسيطرة بسبب ، ومن لا يمت بسبب الا الى الله وحده ، وذلك كله موقوف على أن تكون لها حكومة تحبها وتمتزج بها ، وتنزل على حكمها ، وتعينها على ما هي بسبيله ، وتحسن الادلاء إليها بإعذارها وضرورتها ان اعترضتها عقبة من العقبات في طريقها

لا بل ابقوا في مرا كزكم كما أنتم ، ولكن على شرط واحد ، هو ألا  
تتعرضوا لقضية مصر السياسية بوجه من الوجوه ، ولا تشتتوا بوضع أى  
أساس من أسسها ، ولا تضعوا أية عقبة فى طريق المشتغلين بها ، أو اعلنوا  
اعلاما صريحا بان المسألة المصرية مسألة حكومية محضة لا دخل للامة فيها ،  
ولا شأن لها بها

تؤكد لكم انكم لو فعلتم لما اختلف عليكم اثنان ، ولا ثقل مكانكم  
على كائن من كان ، ولا حدث نفسه محدث بلزاجكم واطلاقكم ، أو مطالبتكم  
بترك مرا كزكم

فهل ترون بمد هذا اتنا قوم شخصيون لا بنى الامه شاغبتكم و. ناو انكم  
حسداً لكم على مرا كزكم وطلبا للحلول محلكم فيها ؟

## تحية الرئيس\*

مرحبا بالبدر الطالع فى جنح ليلة منطمة ضل بها السارى لا يعلم أى  
طريق يسلك ، ولا أى مذهب يذهب . حتى أنرف عليه من مهابته فوجد  
الله حمدا وشكرا

مرحبا بالنبع الصافى ظفر به القامى الهيمان بمد مسير أيام طوال فى  
صحراء محرقة لا يرى لامعا فى أرضها غير السراب . ولا لبرة فى سماها غير  
الشعاع ، فأقبل عليه يرشف من زلاله العذب حتى هدأ غليله ، وبردت  
جوانحه

\* كتبت يوم رجوع سعد باشا من منفاه



مرحبا بالزينة الماطلة أصابت تربة قلعة طال عهدا بلرى والحياة ، فما  
هو الا ان جرى الماء في عروقها ، وتغلغل في صميمها ، حتى اهتزت وربت ،  
واستحالت من قفرة جدياء ، الى روضة خضراء

مرحبا بقميص يوسف تلقاه يعقوب بعدما ابيضت عيناه من الحزن ،  
وأظلم القضاء بينه وبين الحياة ، فانتعشت نفسه ، وأضاءت روحه ، ولزم بصيرا  
مرحبا بالأب القادم على بنيه من غيبة منقطعة دارت عليهم فيها  
النحوس ، وتداولتهم البؤوس ، فلما لاح لهم سواده طاروا اليه فرحين  
مستبشرين ، وانشأوا يضمونه الى صدورهم ، ويندرفون بين يديه دموع  
الغبطة والسرور

مرحبا بالرجاء بعد اليأس ، والفرج بعد الشدة ، والانس بعد الوحشة ،  
واليسر بعد العسر ، والفكك بعد الامر ، والابلال بعد الاشقاء ، والراحة  
بعد الاعياء ، والرحمة العامة التى بقى الى ظلها الضاحون ، والنعمة الشاملة  
التي يتقلب فى اعطافها المجدودون

مرحبا بلامة فدرجل ، والعالم فى واحد ، والبطل الذى نمر به الحوادث  
الجسام التى تطير بثلياب الرجال فيثبت ثبات الصخرة السماء ، فى وجه  
الرياح الهوجاء ، لا يشكو ولا يتبرم ، ولا يمزج ولا يتلم ، كأن المعنى بذلك  
كله سواه ، والمجاهد المخاطر الذى يصدم فيقدم فلا ينتق حتى الموت ، كأن  
الموت مآربه انذى يبتغيه من الحياة ، وكأن الحياة أحقر فى نظر من حذائه  
الذى يحتذيه ، والمخلص الوفى الذى لو عرضت عليه الدنيا بمخافيرها على

أن يبذل فيها ذرة واحدة من تراب وطنه ، وقلامة ظفر من أظفار أحد مواطنيه ما فعل

\*\*\*

ما هذه النضرة التي تجول في جميع الوجوه، وما هذه الهزة التي تمشي في جميع الأعطاف ، وما لهذا الطفل الصغير يستطير فرحا وسرورا كأنما بشره بمشرب بطلمة العيد ، وما لهذا الشيخ الهرم يروع في مشيته ، وينشط في لفتته ، كأنما قد لبس برد الشباب مرة أخرى ، وما لهذه العجوز الغاية القابعة في كسر يبتها يخفق قلبها بين جوانحها خفقان السرور والنبضة كأنما قد مرت بمخاطرها لحمة من ذكريات الصبا ، ولم تضطرب الألق بالاعلام ، وتتلأألا الاجواء بالاضواء ، كأنما قد هبط الملائكة إلى حرم الأرض بنجومه وكواكبه ، وأتمته وأضوائه ، ولم يهوج الشاطن من الاسكندرية إلى اصوان بالمجموع الفرحة الطرية ، الراقصة الشادية ، كأنما قد فتحت لهم أبواب الجنان ، وقيل ادخلوها بسلام

لاعيد هناك ولا موسم ، ولا فرادس ولا جنان . ولكننا أمة طيبة كريمة خرجت لشكر للنعم عليها نعمته التي أسداها لنا ، وتدرى عن نفسه بودها وعطها آلامه التي كابدها في سبيلها ، ورية أضمرت في نفسها فوق ذلك أن تعتذر إليه عن تلك الذنوب التي جناها عليه بعض أفرادها ، وقد علمت أنه محسن كريم ، وأنه فوق أن يأخذ أمة بحريرة فرد ، بل فوق أن يأخذ ذلك الفرد بحريرة نفسه

خرجت لشكر له أنها كانت ممزقة الأديم أجناساً والواما . وهذاهب وأديانا ، فجمع سماها . ووحد كلمتها . ووقفها جميعها في موقف واحد . تمت

راية واحدة ، هي راية « المصرية » فأصبحت أمة واحدة  
 وانما كانت ضعيفة عاجزة نهمس بمطالبها ، همسا فصاع بينها صيحة  
 عالية ، فصاحت بصياحه ، فلتخرق صوته مسمع الخلقين ، قالت أنت العالم  
 قائلا : إن في تلك الزاوية الشرقية من تلك القارة السوداء حادثا جديداً  
 وانما كانت بمنوة بفتة من المنحرفين المارقين يفتون في عضدها ،  
 ويعينون عليها ، فزهر في وجوههم ، وكشر لهم عن مثل ثلب الليث ، فارتدوا  
 الى ألقاحيصهم ولم يستطيعوا الخروج منها بعد ذلك الا متسللين مخافتين ،  
 والا بعد ان تنكروا فردداه غير ردلهم ، وانحنوا لهم عنوانا غير عنولتهم  
 . وانما كانت تعيش تحت سيطرة حكومة لا تقيم لها وزنا ، ولا تهتم لها  
 قدرا ، فلم يزل يطير بها في سماء العزة والكرامة حتى أصبحت تعيش بجانب  
 حكومة لا سبيل لها الا أن تنزل على ارادتها ، أو تنزل عن مقاعها  
 وأن كتاب تاريخها الحديث كان خلوا الا قليلا من العظام التي تدل  
 بها الامم وتساحل بها أقرانها ، فسجل لها فيه من المفاخر في ثلاثة أعوام ما لم  
 يسجل لها منذ ثلاثين قرنا

وتشكر له فوق ذلك انها استطاعت بما بهت في نفسها من العزة  
 والكرامة ، والشرف والاباء ، ان تنتزع من بين مغالب أعدائه الاقوياء ،  
 فحمت بفلك صحيفة سوداء في تاريخ حياتها لو بقيت لكنت عارها الدائم  
 وسببها الخالدة



انا نحييك يا مولاي فنحي فيك الشرف والنيل ، والهمة والشجاعة ،  
 والصبر والجلد ، والاخلاص والوفاء ، والتضحية الشريفة ، والام

الصائت ، ونجى فيك مصر القديمة لآنك ولدها النجيب ، ووارث صفاتها  
ومزاياها ، ومصر الحديثة لآنك واضع أساسها ، وغارس غرسها ، ونجى  
فك تلك السيدة العظيمة المجاهدة الصابرة شريكتك في نعمتك وبأسائك  
ومحبتك على همومك وآلامك ، وتستقبلكما استقبال البنت الذاوية ، للقطرة  
الضائعة ، والزهرة الذابلة ، للشمس الطالعة ، وتقدم لكما تحية قدومكما قلوبنا  
التي لا تحمل إلا حبكما ، ولا تشتمل إلا على الاخلاص لكما

٣٢٢٥	دائرة تبسيه
٧٤	تبسيه
	تبسيه

